رماد

رواية

فاطمة الزهراء أبشي

إهـــداء

إليك وحدك لا سواك

صديقتي

أقفلت خط الهاتف بعد محادثة قصيرة دامت لما يزيد عن عشر دقائق ببضع ثوان.

تبكي..

لا تستطيع التوقف..

تحاول..

لا تستطيع..

على يسارها جهاز تلفاز، قصة امرأة ضاعت في الفضاء الخارجي، تحاول العودة إلى الوطن، يصعب ذلك و تبكي.. تغلق التلفاز.. تبكي..

هناك مكالمات تحمل إليك صوتا على قدر ما يمنحك إياه من راحة عند سماعه، كذلك يوقظ فيك الحنين.. الحنين إلى الوطن، والوطن ليس بالضرورة بقعة جغرافية تتمايل تضاريسها بين انحناء وارتفاع، قد يكون الوطن مجرد شخص تطمئن لوجوده، تحس بالأمان بين يديه كلما استبد بك الضعف والخوف، شخص يأتيك صوته ليثير فيك الشوق لعناق طويل كعناق طفل يلاعب أمه.

تعود إلى هاتفها الصامت وتقلب تفاصيله الصغيرة، تقرأ: "إلى هذا الشخص الذي يجلس الآن في غرفته المظلمة مختبئا خلف شاشة هاتفه المضيئة هربا من الليل حتى لا يذكره بأنه وحيد، أعرف أنك الآن رغم فراغك تهرب من الحديث مع البعض، لكنك ترغب في الحديث إلى شخص ما..

أعرف أنك تكره دوما هذا التوقيت من اليوم، فرغم كرهك لضجيج النهار إلا أنه دائما ما يجعلك تتناسى همومك وآلامك، يشوش عليها.. أعرف أنك تعاني من هذا الإحساس الكريه كل ليلة، فلم تعد تهتم بأي يوم نحن.. لن يفهموك يا صديقي، لن يفهموا لحظات صمتك الطويلة، عشرات القرارات المؤلمة، لن يفهموا ابتسامتك وهي تخترق الصمت ولا دمعتك، كن قويا لأجلك..".

أجل هي كذلك تجلس في غرفتها المظلمة والباردة، تقلب أوراقها تارة وتتكوم في فراشها تارة أخرى بكل هدوء، و"ريكس" كلبها الوفي من سلالة الهاسكي يتأملها على بعد أمتار، أما النوم فيأتي طواعية دون أي طقوس محددة غير أنه يغادرها باكرا.. باكرا جدا في حضور كل تلك الكوابيس، هي لا تنكر أنها ترغب بشدة في ممارسة حقها في أن تكون ضعيفة، أن تضع أرضا كل تلك الأثقال التي تحملها على عاتقها منذ مدة طويلة، ولعل هذا هو السبب الذي جعلها تغادر المدينة الضائعة وتعتزل الجميع، تبتعد عن عملها لتعيش في هذه القرية رفقة ريكس ومنظارها الذي تطل من خلاله على الفضاء البعيد، فقط وحدها رفقتهم وبعض الكتب، لم تتصل بأحد منذ أن فقدت والدتها وأختها الصغرى في ذلك الانفجار العنيف الذي لم تستطع منعه، صار بعده كل شيء رمادا ليس فقط مكان اللهيب، إنها حياتها بأكملها، لم تستقبل أي مكالمة منذ ذاك.. وفي كل مرة يرن الهاتف تضعه جانبا وكأنه لا يعنيها وتستمر في نومها.

وها هي الآن تشتاق، تشتاق للعمل، لحمل السلاح والتصويب على كل مجرم فار من العدالة، تشتاق لرفاقها.. لمتعة البحث والتحقيق، لكن هذا غير كاف، لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء التي راح ضحيتها الأبرياء، ولم يعد بوسعها الاستمرار أكثر في حمل تلك الشارة..

"من الأفضل للمرء في حالتي أن يبقى بعيدا حتى لا يموت الناس ويفقد مع ذلك الكثير.. !"

هكذا رددت ما يجول في خاطرها قبل أن تبعد الهاتف مجددا وتعود إلى النوم.

- افتحي الباب !! سلمى !!

الصوت ينطلق مزعجا في الأرجاء، وريكس ينبح بغير توقف.. يزيد الوضع سوء، سلمى متثاقلة تنهض من سريرها تمرر يدها على شعرها القصير وتتساءل متجهة نحو الباب: "ألن أنتهي من هذا؟ ! ألن تدعني وشأني؟ !"، تفتحه.. إنها نور.

- ماذا هناك نور؟ ما الذي أتى بك باكرا؟
- باكرا؟ ! أتفقدت ساعتك؟ إنها الثانية عشر ظهرا.

- حسنا وليكن، بالنسبة لي هذا مزعج.

أخذت سلمى تتنقل في البيت تحضر الطعام لكلبها ونور تتبعها خطوة بخطوة.

- لماذا تتبعينني؟ اجلسي أو غادري !
- سلمى أريد التحدث إليك، الأمر ضروري.
- نعم كالعادة.. لا أريد أن أتحدث في شيء.
- سلمى...
- نور أرجوك، لقد مرت قرابة السنة الآن وأنت تأتين إلى هنا كل يوم وتكررين نفس الخطاب، لن يتغير شيء الآن.
- الأمر مختلف هذه المرة، أعرف أنني أخطأت في حقك سابقا واعتذرت منك مرارا وسأظل أعتذر إلى آخر يوم في حياتي، لكن الأمر مختلف هذه المرة.
- مختلف؟ ! حسنا أسمعك، ما المختلف؟
- ألن تجلسي؟
- تحدثي بينما أحضر قهوتي.. رأسي يكاد ينفجر.

انطلقت سلمى تحضر قهوتها السوداء كما تعودت ذلك، لا يمكن أن يمر اليوم دون أن تشرب قهوتها عند استيقاظها، الاختلاف الوحيد الآن أنها تحضرها ظهرا وليس عصرا، أما نور فكانت تعرف جيدا أنها ستتعب كثيرا لتقنع صديقتها بما جاءت لتقنعها به، لدى قررت أن تدخل صلب الموضوع دون مقدمات، أخذت صورة واحدة ووضعتها على الطاولة دون أن تنطق بكلمة، صورة واحدة كانت كافية لتضع سلمى الفنجان جانبا وهي في حالة صدمة.

- لقد قلت لك سلمى أن الأمر مختلف هذه المرة.
- من أين أتيتم بهذا؟ !
- توصل بها المركز هذ الصباح، الرسالة مغلقة وعليها نفس الختم الذي كان منذ سنة.

تأملت سلمى الصورة جيدا وهي تأخذ فنجان القهوة من جديد بعينين حزينتين تحملان جرحا عميقا، ثم وضعتها جانبا كمن كان يحمل لعنة.

- وما دخلي بالموضوع؟ !

- ماذا؟ كيف؟ سلمى الرسالة جاءت باسمك، أنها موجهة لك أنت دون سواك.
- حسنا.. لم يصيبوا هذه المرة، لم أعد أنتمي إلى القسم منذ مدة، الرسالة لا تعنيني.
- سلمى أرجوك، المفجر لم يمت.. لقد كنت على حق في تحليلك، أعلم أخطأنا التقدير وقتها ولم نهتم بتوجيهاتك، كنا واثقين من أننا نجحنا في الإمساك به بعد شهور من البحث.. لكن الآن اتضح أنك أنت من كنت على حق وليس هذا الختم إلا دليلا على أنك أصبت وأخطأنا.
- نعم، لقد كنتم واثقين من أنفسكم وأنا كذلك كنت أثق بكم جميعا.. فريقي وأصدقائي، لكنكم خذلتموني جميعا.. حتى أنت صديقتي ورفيقتي خذلتني..
- لم أكن في وعيي..
- قاطعتها سلمى صارخة في وجهها: لكنك أدليت بشهادتك وانتهى.. الآن هذا يكفي لم أعد أنتمي للقسم أو للخدمة، لا شيء يربطني بهذه القضية.
- لكنك تعلمين أنه لا يرى الأمر كذلك، سيتعقبك إلى هنا..
- إذن سأكون بانتظاره هنا حيث أنتمي وصنعت لنفسي حياة..
- هذا خطير..
- منذ متى تهتمين؟ لقد كان الأمر خطيرا دوما.. الآن من فضلك غادري بيتي، أريد أن أستحم.

توقفت نور للحظة ثم غادرت تاركة الصورة لصديقتها التي أدركت الآن أنها حقا قد خسرتها وربما هذه المرة للأبد، ركبت سيارتها واتجهت إلى المدينة.. كانت تعود بذاكرتها إلى الوراء، إلى ذلك اليوم المشؤوم، لو أنها لم تدلي بتلك الشهادة، لو أنها احتفظت لنفسها بشكوكها لكانت قد حافظت على تلك الصداقة ولحافظت سلمى على وظيفتها، لم تدرك الخطأ الفادح الذي اقترفته إلا اليوم، كانت تبكي طول الطريق.. تبكي خسارتها.

العودة إلى المدينة أم إلى الذاكرة؟ لا تدري.. فقط تركض وتركض، تتصبب عرقا في كل خطوة تخطوها، لقد رفضت العودة إلى المركز لكنها لم تستطع مقاومة كل تلك الصور التي صارت تنفلت من بين أصابع الذاكرة اللعينة لتعود إليها.. مشاهد كانت تظن أنها قد تجاوزتها منذ مدة طويلة، تركض في هذه الغابة الشاسعة وعلى قدر شساعتها تشعر فيها بالضيق.. لا تستطيع المقاومة أكثر، تتوقف لتعود إلى البيت. الحمام الدافئ يساعدها على الاسترخاء، ينزل الماء قطرة قطرة، يداعبها.. يداعب جروحها وندوبها.. لم تعالج بعد.. لازال الألم هو الألم والحريق هو الحريق.

كل شيء بدأ منذ عام، كانت الشرارة الأولى لكل هذا الحزن مجرد رسالة واحدة تحمل جملة واحدة "أتجيدين اللعب، لنلعب"، رسالة واحدة بنفس الختم أتى بها طفل صغير في السادسة من عمره، انتظر بباب المركز حتى رآها تخرج متجهة إلى سيارتها رفقة نور، انطلق إليها الصغير مسرعا غير مدرك لما ينتظره، ينادي بصوت عال "سلمى، سلمى"، أمسكت به وهو يلهث، أخذت الرسالة لتقرأها ثم عادت تسأله عمن أعطاه إياها، "إنه رجل.." هذا كل ما باح به الصغير قبل أن تنطلق رصاصة من بندقية قناص وترديه قتيلا بين يديها، كانت هذه أول جريمة أحست أنها أذنبت فيها، ثم اندفعت في حالة هوس بالقضية التي دامت أشهرا، في كل مرة تتوصل برسالة من جملة عليها ذات الختم تحدث جريمة، وفي كل مرة يسبقها المجرم بخطوة دون أن تعرف السبب وراء ذلك، قضية خسرت فيها الكثير وفقدت فيها أغلى الناس.. وانتهى بها المطاف في هذا البيت الصغير رفقة "ريكس" والمنظار.

فنجان قهوة على اليسار، و رواية لم تقرأ.. وبين هذا وذاك تجلس سلمى واضعة قدميها فوق الطاولة أمامها عائدة بباقي جسمها إلى الخلف في كرسي هزاز، مغمضة العينين تحاول أن تحل جريمة بإحدى روايات "أكاثا كريستي" قبل أن تنهيها. فجأة يرن الهاتف لكنها تستمر في التأمل، يرن مجددا دون أن يشد انتباهها، يستمر في إزعاجها وتستمر في تجاهلها واضعة أعصابها في مجمد.. يصمت.. تأخذ نفسا عميقا وتسمع طرقا بالباب.

- قادمة ! قادمة ! رباه من يكون هذا؟ إنها الثانية عشر ليلا.

تفتح الباب وتندهش، إنه العميد كريم.

- أهلا، كيف حالكِ؟
- سيدي؟ هذا أنت؟
- نعم، ألن تسمحي لي بالدخول؟
- طبعا يمكنك ذلك، معذرة تفضل.

جلس العميد كريم، هذا الرجل الأربيعيني بالكرسي المقابل لسلمى، أخذ يلقي نظرة على كل زاوية بالبيت متأملا، لينتهي إليها وهي تجلس على كرسيها الهزاز لكن بشكل أكثر لباقة مما كانت عليه.

- بيت جميل !
- شكرا..
- يبدو أنك تكرسين الوقت للمطالعة، ما هذه؟ رواية القاتل العاشق؟
- نعم سيدي، أحاول أن أقوم بشيء جديد.
- ماذا عن هذه؟ أووه ! فن اللامبالاة لمارك مانسون.. جميل ! لم أكن أعلم أنك من عشاق هذا النوع من الكتب !
- طبعا لست من عشاقه، لقد توصلت به كهدية.
- ممن؟
- لا أعرف، في الحقيقة وجدته بصندوق البريد لكنني أظنه من نور، لقد كانت تزورني كل يوم طوال هذه المدة، أظنها تركته هنا فقط.
- نور؟ ! تهدي الكتب؟ ! غريب !!

ترك العميد كريم الكتاب وعدل من جلسته موجها الخطاب لسلمى بشكل مباشر وهو ينظر إليها.

- حسنا، دعينا من هذا ! لقد توصلنا برسالة أخرى من المفجر وعليها اسمك كالعادة.
- تعودنا على ذلك سيدي، ما الجديد في الموضوع؟
- نور لم تعد للبيت، ولا أثر لها منذ أن غادرت بيتك، نحن نظن أن للمفجر يدا في ذلك.
- هذه ليست طريقة عمله.
- نعم، لكنك غير موجودة وتحتاجين تحفيزا للعودة.
- أين الرسالة؟
- هنا معي !!

أخرج العميد كريم الرسالة من جيبه، كان ورقا أنيقا وقرطاسية جميلة جدا، عليها الختم نفسه، فتحت سلمى الرسالة التي لم تتعدى جملة واحدة كما كان الأمر دائما "لا تهتمين، إذن لنحفزك قليلا".

- إنه يريدك في الميدان مجددا سلمى.
- سيدي...
- سلمى أرجوك.. لا أريد منك إجابة الآن، فكري بالموضوع.. نور صديقتك الآن بين يديه.

- قد لا تكون...
- آمل هذا حقا، لكن كل المؤشرات تدل على ذلك.

غادر العميد كريم مسرعا عائدا إلى المركز، وظلت سلمى تفكر كيف ستتعامل مع هذا الوضع !!تمسك بهاتفها تارة محاولة الاتصال بنور دون جدوى، وتحاول تجاوز الأفكار السلبية تارة أخرى منتقلة من غرفة إلى غرفة، لتنتهي في سريرها أخيرا مع حبتي منوم أملا في أن ترتاح قليلا وتفكر بشكل أفضل.

- لن تأت أليس كذلك؟
- لا أعرف خالد، حاولت إقناعها وتركت القرار لها. ماذا عن نور؟ هل من جديد؟
- لا جديد سيدي، هاتفها مغلق، حاولت تتبعه لكن دون جدوى.
- تابع بحثك لنرى كيف سنتعامل مع كل هذا.
- سيدي، ألن تحاول معها مجددا؟
- فعلت ما بوسعي، دعها تقرر.

عاد خالد ليكمل بحثه عن نور متأكدا من أن سلمى لن تعود، فهو يعرفها جيدا عندما تقرر أن تبتعد، لا أحد يمكنه إقناعها بالعكس.. والآن الأمر أكبر من ذلك بكثير، هي لم تبتعد فحسب بل اتخذت موقفا منهم جميعا كفريق، وكل هذا الشتات الذي حل بهم كان بسبب هذا الوغد، لقد مات اثنان منهم في انفجار واحد إلى جانب والدة سلمى وأختها الصغرى قبل عام ولم يتمكنوا من الإمساك به.

- فيم تفكر خالد؟
- لا شيء.
- لقد سمعت حديثك إلى العميد دون قصد.
- حسنا عادل، ماذا هناك؟ ماذا تريد أن تعرف؟
- أعلم أنكم لم تعتبروني يوما صديقا بديلا في الفريق بعد أن فقدتم أصدقاءكم، لكنني حقا ارغب في المساعدة.
- أفهم هذا جيدا عادل، آسف إن تحدثت إليك بغضب لكن القضية حساسة جدا، وأهم عنصر فيها لا يرغب في الانضمام.
- لا عليك، سأساعد بكل ما يمكنني، سأراجع الرسالة مرة أخرى قد أجد خيطا ما يساعد على حل هذا اللغز.

هم عادل بالمغادرة إلى المختبر عساه يجد خيطا يجعل منه محبوبا لدى الفريق، لكن قبل أن يتحرك من مكانه حاملا ملف القضية انطلق صوت من خارج الغرفة لا يميزه.

- لا داعي لذلك، لن تجد شيئا.

التفت إلى خالد لكنه كان متفاجئا هو الآخر.

- أكنت أنت خالد؟
- طبعا لا، لكنني أحفظ هذا الصوت جيدا، افتح الباب !
- ليس مغلقا !
- حسنا ساعد في فتحه، إنها تحمل القهوة.. لن تستطيع دفعه.

اندفع عادل نحو الباب بسرعة، كانت سلمى تقف ممسكة أكواب القهوة، ابتسمت للصديق الجديد وراحت تحدق بالمكان.

- لم يتغير شيء هنا !

نظر خالد إليها بحرقة وارتمى بين دراعيها باكيا كطفل.

- أين كنت؟ أرجوك سامحيني !!

- كنت في رحلة صغيرة، والآن هلا تركتني؟
- تكرهينني أليس كذلك؟ !
- كلا، لكن أكواب القهوة ستضيع منا.. حينها كن متأكدا أنني سأكرهك.

تدخل عادل معرفا بنفسه وهو ينظر إلى سلمى كمن رأى شبحا، وعلامات التعجب بادية على محياه.

- أنا عادل الضابط الجديد في الفريق.
- مرحبا بك.. والآن دع عنك ذاك الملف ومدني بالرسالة الأخيرة.

وضع عادل الملف جانبا وسلم الرسالة الأخيرة للضابط سلمى، تأملتها جيدا ثم أخذت تبحث..

- سلمى، عم تبحثين؟ سأل خالد
- قلم رصاص.
- ماذا؟
- نعم، كما سمعت.. هناك كتابة مضغوطة في الخلفية قد أتمكن من قراءتها.

أخذت سلمى قلم الرصاص ومررته ببطء ولطف على الورقة، صارت الصفحة رمادية لتظهر في الخلفية أرقام ورموز ليس لها معنى.

- أكتب ما سأمليه عليك خالد..
- حسنا !!
- 6/2/(2)/9-7/4/3-2-1/1/(1)
- ترى ما الذي تعنيه هذه الأرقام؟؟ تساءل عادل
- هذا ما يجب أن نكتشفه في أقرب وقت.

هكذا أجابت سلمى وهي تجلس إلى مكتبها القديم، واضعة نظارتها بجانب كومة الكتب المرتبة تفكر في مصدر هذه الأرقام، عندما لاحظت تواجد كتاب لم يكن ضمن قائمتها من قبل.

- خالد، أسبق واستعمل أحدهم مكتبي؟
- كلا، منذ رحيلك منعنا أي متطفل من الجلوس إليه حتى.
- إذن من أحضر هذا؟ سألت سلمى مشيرة إلى الكتاب.

- لا أعلم، لقد كان هناك منذ البداية.
- لا يمكن، لقد تركت كتبا كنت قد قرأتها وكانت أغلبها روايات، والآن هذا الكتاب هنا، كتاب لم يكن ضمن قائمتي من قبل ولم أقتنه.
- لم أفهم.
- "فن اللامبالاة" كتاب فلسفي لم أفكر يوما في قراءته، ما الذي أحضره إلى هنا؟.. مهلا.. لقد سبق ووجدت نسخة منه عند الباب ببيت الجبل، كنت أظن أن نور قد أحضرته وتركته هناك، كان مغلفا بورق مقوى بني اللون وعليه أرقام تسجيل تعود لمكتبة ما.
- أيعني هذا أنه قد يكون مصدر الأرقام؟ سأل عادل
- ممكن !!

بدأ خالد في البحث فورا عم قد تعنيه الأرقام والرموز انطلاقا من الكتاب الذي وجدوه، لكن دون جدوى.. لم يستطع تكوين ولا جملة مفيدة واحدة، مر الوقت بسرعة وسلمى تزداد توترا وحيرة، كانت متأكدة أن نص الرسالة جزء من الكتاب لكن لا شيء من ذلك صحيح.. أخذت معطفها وغادرت..

اللعنة تواصل نشر ظلالها عليها، وأن تراقص لعنتك.. لعنة الحضور والغياب، ذاك تجعل منك وحشا يخافه الجميع، يفر منه الجميع، ويقررون إخراجك من دائرتهم، فتصير اللعنة لعنتين عندما تتكرر النتيجة مرتين.. وتدرك أنك صرت وحشا..

- ترى كم يلزمنا من الصمت وكم يلزمنا من الهلاك..؟
- لا، لا تفكري هكذا أبدا، الوحوش هم من سمحوا بأن تترعرع البراءة في عرين الذئاب وبين أنيابهم.
- لكنني مثلهم سمحت بذلك نور.
- سلمى، عزيزتي لو كنت كذلك لما كنت معي الآن تذرفين الدموع.

كانت تحدق بعينيها الجميلتين وهي تدرك حجم الحزن الذي بداخلهما، تعلم أنها وحدها، لكنها أدت الشهادة أخيرا وكأنها لا تعرف شيئا.

- ضاع الوطن !

أمطار خفيفة تتساقط وهي تحتسي فنجان قهوتها الحلوة بمقهى اعتادت أن تزوره كلما تواجدت بالمدينة، تحتسي قهوتها وتفكر محاولة ترتيب الأحداث علها تجد تفسيرا للرسالة وكل تلك الرموز.. هي تعلم جيدا أن نور وحيدة الآن.. تنتظرها.. وتعلم أنها انتظرتها طويلا بينما كانت منشغلة عنها تائهة تبحث عن الحقيقة، هذه الحقيقة التي كانت جزء منها ويداها ترتجفان كلما حاولت الاقتراب منها أكثر.. خائفة..

- مم تخافين سلمى؟
- من النهايات عزيزتي نور.. أخاف أن تكون النتيجة واحدة، أن أفشل وتفشل معي كل المحاولات.. أخاف أن أعود فأفقد كل من أحب..

تطلب الأمر زمنا من المعاناة في سجن انفرادي قبل أن تكسر جدار الصمت وتبوح بما أخفته عن الجميع خوفا من الفشل..

- سلمى، سلمى ! استيقظي !

فتحت عينيها على صوت النادل مروان صديقها الذي تأتي إليه من وقت لآخر..

- هل نمت طويلا؟
- حوالي نصف ساعة، لم أرغب في إيقاظك.. تركتك ترتاحين قليلا حتى لاحظت أن هاتفك يرن.
- شكرا مروان لقد كنت متعبة.

أخذت هاتفها تاركة الحساب على الطاولة وغادرت تتساءل "من تراه فكر في اسم كهذا لمقهى (The Time)؟ أي وقت هذا وأي انتظار قد نال مني ومنها؟".. أدارت مفتاح السيارة منطلقة إلى منزل نور.

الباب مغلق والنوافذ كذلك، لا مخرج للدخول ولا مدخل للخروج، أخذت سلمى عدتها من جيب معطفها كما يفعل مفتشي الشرطة بالأفلام لتفتح الباب.. لطالما كانت محترفة في فعل ذلك، ثوان فقط وكانت داخل الشقة المظلمة، وأول ما وقعت عليه عينيها كومة الرسائل المبعثرة أرضا، اطلعت على مصادرها ثم وضعتها جانبا واستمرت في بحثها. لم يكن هذا الوضع سهلا عليها، فهي

تبحث عن خيط ما وتعرف أنها قد تتمكن من الوصول إلى صديقتها وقد تتأخر في ذلك وتفقدها في النهاية، مرت بالشقة ركنا فركنا وهذه الأفكار تمر بها كالعاصفة حتى توقفت أخيرا عند غرفة النوم..

- أين أنت يا نور؟ كيف هو حالك الآن؟ !

تساءلت سلمى وهي تتكئ برأسها على الباب.. ثم وضعت يدها على المفتاح وابتسمت متذكرة كل تلك الأيام التي مرت وهي تزور نور لتشاهدا الأفلام هنا بالذات، وتتشاركا الطعام المرح والأحاديث الطويلة، مسحت دمعة باغتتها فجأة ثم دخلت الغرفة متفوقة على حالة الحزن الرهيب، والنوستالجيا التي تمكنت منها للحظة. كان كل شيء في مكانه، التلفاز الصغير مقابلا السرير مباشرة، الأغطية، مستحضرات التجميل، وأنواعها المفضلة من العطور، مررت يدها على ملاءة السرير التي تركتها نور على حالها دون ترتيب كمن استيقظ من النوم لتوه، مررت يدها بلطف لتتعثر بشيء ما تحتها، رفعت الملاءة بسرعة لتجد نسخة من كتاب "نسيان com" الذي يبدو أنه ملقى هناك منذ كانت نور بالبيت، أخذت نفسا عميقا واستلقت إلى جانبه تتأمل السقف لتتفاجأ بقطع ورقية ألصقت عليه، والتي يبدو أن نور كانت تتأملها كلما خلدت إلى النوم.

- حسنا، هذا غريب، منذ متى تعلق نور ملاحظات على الجدران؟ !

عدلت سلمى من وضعها واستعملت السرير لتصل إلى السقف، كانت قطعا من الورق المقوى تميل إلى اللون البني كتب عليها رقم تسجيل لمكتبة ما وعنوان الكتاب على السرير، تذكرت سلمى فورا كتاب "فن اللامبالاة" الذي توصلت به من مجهول والغلاف البني وأرقام التسجيل، فأدركت حينها أنه حان الوقت لتتصل بالقسم.

- أهلا سلمى، أين أنت؟ لقد حاولت الاتصال بك مرارا.
- أهلا خالد، أنا بمنزل نور أقوم بجولة.
- لمَ لم تتصلي بي؟ كان بإمكاني مرافقتك.
- تفقدت المكان قبل مجيئكم، كنت أريد وقتا خاصا.
- لا عليك أفهم ذلك، لكن هل اكتشفت أي شيء؟

- كان هناك كتابا لأحلام مستغانمي وقطع ورقية ذكرتني بالغلاف الذي توصلت به مع "فن اللامبالاة"، أتذكر؟
- نعم طبعا، أهو نفس الغلاف؟
- هذا ما أريد التأكد منه، لدي أرقام تسجيل خاصة بالمكتبة.. إذا كانت نفسها فقد نعيد نور إلينا قريبا.
- ماذا تنتظرين؟ أرسليها !
- أقوم بذلك الآن.

اكتشف الرفيقان أنه رمز التسجيل نفسه، فالمكتبة التي جاء منها الكتاب الأول هي نفسها مصدر الكتاب الثاني.

- أتعلم خالد، قد يكون هذا هو الكتاب الذي كنا نبحث عنه منذ البداية.
- أتعنين أن ذاك المجرم كان يراسل نور كذلك؟
- كلا، مادامت الإرسالية نفسها هذا يعني أنني توصلت بهما معا.. لكن قبل أن ألاحظهما وآخذهما من علبة الرسائل بيت الجبل راقبت نور المكان في إحدى زياراتها، فظنت أنني من طلبتهما، هكذا أخذت الكتاب الذي أثارها وتركت الآخر.
- وماذا عن القطع الورقية؟
- حسنا، بعد أن شرعت في قراءة الكتاب توصلتم بالرسائل، ربما كان لديها شكوك لكنها اختطفت قبل أن تؤكدها.
- كلامك منطقي، علينا فقط أن نتأكد ما إذا كان هذا الكتاب هو الحل للرموز والأرقام ! انتظريني سألحق بك حالا.
- كلا سنتأخر أكثر، أحمل معي صورة للرسالة سأحاول حلها وأخبرك أين نلتقي.
- جيد، في انتظارك.

أقفلت سلمى الخط ومباشرة بحثت عن صورة الرموز وشرعت في تسجيل ما تتوصل له من حروف، الصفحة الأولى أشار لها بين قوسين (1)، السطر الأول /1/، الكلمات /1-2-3/ هذا يكون جملة "إلى من يشاركني"، السطر الرابع /4/ الكلمتان /7-9/ تكونان "مواجهة الذاكرة"، ثم رمز للصفحة الثانية (2) والسطر الثاني /2/ وكلمة واحدة /6/ "دفاعا".

قرأت سلمى الكلمات مرات ومرات وعلى وجهها تبدو الحيرة والصدمة، فهي لم تكن تتوقع هذه الرسالة بالذات.. وتبادرت إلى ذهنها عشرات الأسئلة سرحت في طرحها حتى أيقظها رنين الهاتف.

- ألو، سلمى هل تمكنت من حلها؟
- نعم.
- ماذا إذن؟
- أنا في طريقي إلى مطعم رمسيس، تعرف المكان أليس كذلك؟
- طبعا، إنه مطعمنا !
- الحق بي إلى هناك، سأشرح لك عند لقائنا.

سجلت سلمى الرسالة على مذكرتها وغادرت من فورها آملة أن تصل في الوقت المناسب وألا تكون قد تأخرت عن نور كما تأخرت يوما عن والدتها وأختها، خمس دقائق كانت كافية لتكون بباب المطعم الذي وجدته مغلقا لغرض الإصلاح، لم تصدق ذلك.. أي إصلاح هذا قد يدوم كل هذه المدة بعد أن ظهر فجأة دون سابق إخبار؟ ! تركت تساؤلاتها خلفها وانطلقت تبحث عن مدخل آخر ليصل خالد في ذات اللحظة ومعه فريق من رجال الشرطة للمساعدة في البحث وإلقاء القبض على المجرم.

- الباب مقفل !
- لاحظت ذلك خالد، ألا ترى أنني أقف أمامه ؟ !
- حسنا اهدئي، لا داعي للتوتر، إن كانت هنا سنخرجها.
- يجب أن تسرع، متأكدة أنها في الداخل.
- ماذا وجدت.
- هاك اقرأ..
- "إلى من يشاركني مواجهة الذاكرة دفاعا"...، مهلا، أليست هذه الكلمات...
- نعم، إنها هي تماما.. لا ينبغي كسر الباب، أريد الدخول بهدوء قد نتمكن من الإمساك بأحدهم.
- حسنا.

وزع خالد رجال الشرطة في المحيط بينما أخذ يبحث رفقة سلمى عن منفذ.

- أليست هذه نافذة؟ سأل خالد
- بلا، يبدو أنها ستأخذنا مباشرة إلى المطبخ.
- لكنها صغيرة.
- تكفي لدخولي.
- كلا، لن أتركك بالمكان لوحدك.
- فات الأوان، سأدخل إلى هناك... ما من حل آخر، هكذا سأتمكن من فتح الباب من الداخل لك والفريق.

ساعد خالد سلمى على الوصول إلى النافذة، كان المكان مظلما، استعملت المصباح اليدوي وكما توقعت لم تكن هناك أية إشارات لأي إصلاحات، توجهت بهدوء لتسمح للبقية بالدخول، وانتشر رجال الشرطة في المكان، كل في موقعه، كان المطعم هادئا تماما، لا صوت.. لا حركة.. كل شيء في مكانه كما كان سابقا عندما زاروه لتناول وجباتهم. يئست سلمى من بحث لا يأتي بنتيجة، أما خالد فقد طلب من فريقه الانسحاب.

- المكان نظيف.. وخال ! لقد أخطأنا التقدير.
- لا يمكن، أتذكر تلك الكلمات جيدا، لقد قيلت هنا.. كنا نجلس جميعا إلى تلك الطاولة نتناول البيتزا عندما سخرنا جميعا من فكرة أن أكتب مذكراتي، كانت نور تجلس إلى جانبي عندما نطقت بها واقترحتها كإهداء.. كان يجب أن تكون هنا، قالوا أن المكان مغلق للإصلاح ولا يوجد إصلاح، لماذا؟ إضافة إلى الرموز والكتاب ! ماذا يعني كل هذا؟ !
- سلمى اهدئي، سنجد خيطا آخر لكن عليك أن تهدئي أولا.
- لطالما أحبت تناول البيتزا هنا... مهلا، البيتزا.. !!

اتجهت سلمى نحو المطبخ من جديد كمن اكتشف كنزا، وخالد خلفها لا يفهم شيئا، فتحت فرنا ضخما وهي تبحث عن أي شيء مثير، لكن دون جدوى.. توقفت فاقدة الأمل، ترفع يديها خلف رأسها محاولة أخذ نفس عميق قبل أن تندفع غضبا تضرب باب الفرن بقوة مرارا حتى تورمت

قبضتها وهي ترتجف.. لترمي بجسدها أرضا، تجلس في كامل انهيارها ضاربة عرض الحائط كل محاولات خالد لإيقافها.

- سلمى، ماذا فعلت بنفسك؟
- كان يجب أن تكون هنا، إنه الخيط الوحيد الذي لدينا والآن ضاع منا.
- اهدئي، سنجد تفسيرا ما.. لن يتكرر الماضي ثانية، لن نسمح بذلك.

أشاحت بنظرها بعيدا بينما خالد يحاول تضميد يدها بقطعة قماش من المطبخ، كانت تتأمل الفراغ والمكان دون حراك لتفاجئه بابتسامة خفيفة !

- ماذا؟ ماذا هناك؟
- كيف لم ألاحظ ذلك؟ !
- ماذا؟
- أنظر.. تلك العلامات على الأرضية بجانب الفرن..
- أجل إنها بارزة !
- حسنا، إذا وضع الفرن في مكانه ولم يتحرك لن يترك علامات بارزة إلى هذا الحد، وحتى إن حرك من مكانه من وقت لآخر لن يتسبب في ذلك بهذا الشكل.
- معنى هذا أنه يتحرك باستمرار.
- هيا ساعدني.. أسرع !

أبعد خالد وسلمى الفرن في اتجاه العلامات، وأزاحا ستارا كان خلفه مباشرة ليجدا بابا خشبيا محترقا بالكامل لقبو يعلوه درج.

- المكان مظلم، لا أستطيع رؤية شيء هناك. تحدث خالد
- إذن سننزل
- ألن ننتظر المساعدة؟
- فريقك غادر منذ مدة وسيحتاج وقتا للعودة والانتشار من جديد، ونحن لا نملك الوقت.

أنهت سلمى النقاش قطعا بهذه الجملة، ثم تجردت من معطفها، أخذت مصباحها اليدوي، وأخرجت مسدسها لتحمله في حالة تصويب إلى الأمام.

- سلمى، يمكنني أن أقود العملية.
- أأنت خائف؟ سألت سلمى ضاحكة.
- لا أريدك أن تتورطي في شيء ستندمين عليه.
- لا تقلق لن يكون هنا، فهو يسبقنا بخطوة دائما.. حركتنا هذه احتياطا من تابعيه فقط.

نزلت سلمى أولا خطوة خطوة في اتجاه الأسفل، ونزل خالد خلفها يحمي ظهرها، لم يكن المكان مؤهلا للعيش.. مجرد جحر يعج بالفئران ويتكون من غرفتين، تقدما معا إلى الغرفة الأولى لكنها كانت خالية، ثم انتقلا إلى الغرفة الثانية، فتحت سلمى بابها ببطء، سرير مهترئ، كرسي خشبي وبعيدا عنهما توجد نور مطروحة أرضا ومقيدة إلى الجدار، اندفعت سلمى إليها ما إن رأتها لتتفقدها.

- ماذا؟ هل تأخرنا؟
- كلا خالد، إنها تتنفس لكنها نائمة.
- نائمة !!
- نعم، أنظر إلى الحبوب بالقرب من الكرسي هناك، إنها حبوب منومة يبدو أنها أخذتها بالقوة.. ثم قيدها وتركها دون حراك.
- كان يختبرنا إذن !! يختبر مهاراتنا !
- بل كان يختبرني.

نظر خالد إلى سلمى، الآن صار مدركا أن الوحش قد استيقظ من رماده وعاد الماضي ليطاردهم مجددا، لقد صار الأمر شخصيا بينها وبين هذا المجرم الوغد الذي يظل يعبث بهم جميعا.. ساعدها في حمل نور وإخراجها من القبو ثم اتصل بالإسعاف لينقلاها إلى المستشفى.

رائحة التربة بعد سقوط المطر منتشرة في الأرجاء، والساعة القابعة في ذلك الركن المنسي من الغرفة تعلنها الواحدة صباحا، مصباح كسول يكسر ظلمة المكان بإضاءة خافتة، نور مستلقية على سرير المستشفى لم تستيقظ بعد، وسلمى تجلس بالجوار تمسك يدها نائمة. قبل عام فقط كانت بنفس المكان تمسك يد أختها الصغرى تنتظر استيقاظها عندما أخبرها الطبيب المسؤول عن حالتها أنه لم يعد هناك من أمل لعودتها، كان عليها أن توقع على أوراق السماح لها بالرحيل وإزالة أنابيب

التنفس الاصطناعي عنها لترقد في سلام، والآن ها هي تجد نفسها تمسك يد صديقتها الوحيدة تنتظر أن تستيقظ في توتر وخوف من أن يعيد التاريخ نفسه. ببطء شديد تحرك نور أصابع يدها، تقفز سلمى مكانها متفاجئة، وتعاود نور تحريك أصبعها ثم تفتح عينيها شيئا فشيئا لتنظر حولها في تعب.

- نور، هل تسمعينني؟

تومئ نور بنعم فتأخذ سلمى نفسا عميقا كمن أزاح جبلا من على صدره، وتنادي فورا على الطبيب.

- لا داعي للخوف، إنها بخير. تحدث الدكتور منير
- هل أنت متأكد دكتور؟ سألت سلمى
- طبعا، ستشعر ببعض التعب لكن هذا شيء عادي جدا.. قد أصف لها بعض الفيتامينات لا أكثر، كما أنني سأخضعها لبعض الفحوصات للاطمئنان فقط.
- شكرا لك دكتور.
- لا داعي للشكر هذا واجبي..

آه، حتى لا أنسى هناك من ينتظر في الخارج يريد زيارة مريضتنا.

- أوكي، سأرى ذلك.

غادر الطبيب وكانت سلمى في طريق اللحاق به لترى من جاء للزيارة عندما أمسكت نور بيدها وطلبت منها التريث.

- مهلا، أريد التحدث إليك.
- نور دعك من الحديث لآن، حاولي أن ترتاحي سنتحدث فيم بعد.
- كلا، أرغب في ذلك الآن.
- حسنا، أسمعك !
- سلمى، أعلم أنني أخطأت في حقك كثيرا وخطئي لا يغتفر، لكنك رغم ذلك بحثت عني وأنقذتني.. لولاك لكنت الآن في عداد الموتى، لا أعرف كيف ستصير الأمور بعد ما حدث لكن أرجوك سامحيني !
- دعينا ننسى هذا، نتجاوز الألم ونستعد لما هو قادم.
- ما هو قادم !!

- كومة الرماد التي انتهت بين أيدينا منذ عام عادت لتشتعل من جديد.

أنهت سلمى حديثها ثم رحبت بالعميد كريم وخالد وعادل الذين أتوا لزيارة نور، كان الكل فرحا بهذا اللقاء ولم الشمل، وبعودة رفيقتهم سالمة، جلست سلمى في الزاوية تشاهد فرحتهم وضحكاتهم ونور تفتح الهدايا الغريبة وتضع باقات الزهور جانب السرير، ثم وفي قمة انشغالهم أخذت معطفها وغادرت في صمت، كانت تعرف أن هذه ليست إلا البداية وأن القادم سيكون أكثر تعقيدا مادامت لم تلق القبض على مجرمها، أدارت مفتاح السيارة وانطلقت إلى بيت الجبل لتطمئن على كلبها ريكس.

مر الأسبوع سريعا وها هي سلمى تجمع حقيبتها وتحضر نفسها للعودة إلى المدينة الضائعة، نور ستخرج اليوم من المستشفى وهي تريد أن تكون هناك، أما العميد كريم فينتظر إكمالها الإجراءات اللازمة لعودتها بشكل رسمي إلى العمل مع الفريق من جديد.. ووسط كل هذا نظرت إلى ريكس صديقها الوفي والعزيز على قلبها، دمعت عيناها وعانقته بشدة، لن تستطيع أخذه معها لهذا فكرت في أن تسلمه لجارها الرجل الطاعن في السن الذي يعيش وحيدا، قبلته ووعدت بأن تعود من أجله لاحقا، ثم غادرت.. نبح ريكس ليتقبل الوضع أخيرا.

- مرحبا نور، كيف حالك؟
- أهلا عزيزتي سلمى، جيدة جدا وأتوق للخروج من هنا.
- كعادتك، هل أنت مستعدة.
- طبعا منذ مدة.. لكن إلى أين سنذهب؟
- فكرت مليا.. سنذهب إلى منزل العائلة، لم أزره منذ وفاة والدتي.
- إذن سنقضي وقتا كالسابق.
- ربما بعد التنظيف.. علينا أن نستعد للقادم.
- لماذا تكررين هذه العبارة كثيرا؟

- سأشرح لك عندما نصل إلى هناك... وننظف المكان.
- هل أنت خائفة من أن تنظفيه لوحدك؟ ! هيا بنا.. !

أخذت سلمى الحقائب إلى السيارة ثم رافقت نور لتقوم بآخر إجراءات مغادرة المشفى، لم يمض إلا القليل وكانتا معا في طريقهما إلى منزل العائلة، كانت متوترة جدا فطريق العودة إلى هناك هو في الأصل طريق العودة إلى الماضي، الموسيقى الهادئة وأغنية **"The book of love"** بصوت الممثلة والموسيقية الشابة **"Taylor Hickson"** يمنح المكان مساحة للذاكرة التي تصارع النسيان بكل ثبات، الحي ما يزال كما كان.. حي شعبي يعرف فيه الكل الكل، الأطفال يلعبون هنا وهناك، وفي آخر الزقاق بعيدا عن الضجيج يدق قلب سلمى الأجراس معلنا عن الوصول، فتحت الباب في تأن ونور ترافقها، لم يعد البيت هو البيت بعد وفاة والدتها وأختها، وبعد رحيلها صار أشبه بمسكن للأشباح، الغبار يملأ المكان، أطباق مكسورة على الأرض وكراس تتذكر أنها رمت بهم بعيدا في آخر ليلة لها هنا، اختارت أن تحطم الأشياء على أن تصرخ.

- يبدو المكان محطما !!
- كان كل شيء محطما فكيف لا يكون المكان كذلك؟ !
- إذن لنبدأ بترتيب هذا.

شرعت كل منهما في ترتيب البيت وجمع الزجاج المكسور، ساد الصمت لفترة إلا من بعض الموسيقى وهما تنظفان المكان، أخيرا جلستا لتأخذا قسطا من الراحة بعد أن أنهيتا العمل الشاق.

- ألم يحن الوقت المناسب لتشرحي لي سبب استعدادك للمستقبل وكأنه الجحيم عينه؟ سألت نور
- لم لا نتحدث بينما نحضر قهوة المساء؟ !

دخلتا معا إلى المطبخ وهما تتذكران كيف كانتا تحضران القهوة قبل أعوام والابتسامة لا تغيب عن محياهما.

- هناك خائن بيننا ! قالت سلمى
- اممم.. ماذا؟

- كيف تفسرين ما يحدث؟ المجرم يلعب بنا كما يشاء.. كالدمى.. وفي كل مرة يرحل قبل وصولنا بوقت قصير.. إنه يعرف كل تحركاتنا.
- أتشكين في أحدهم؟
- لست متأكدة ممن يكون.. لكن أعرف أنه منا.
- لماذا؟
- أتذكرين جلستنا الأخيرة بمطعم رمسيس؟ لقد كانت رسالة المجرم جزء من الدردشة التي جرت بيننا خلال ذلك اللقاء.
- إذن تقولين أن الخائن هو أحدنا؟
- لا أعرف، إما أن يكون أحدنا.. أو أن يكون شخصا مقربا جدا من أحدنا.
- هذا مخيف سلمى، إنه يخترق قسم الشرطة.. لديه أعين في كل مكان.
- ليس مخيفا بل ذكيا، ما يحيرني هو أنه اختارنا نحن، ولم أنا بالتحديد؟ !

صمتت نور قليلا وسلمى تشرب قهوتها في هدوء وتأمل.

- تبدين هادئة جدا ! أشارت نور
- ربما لأنني مللت من غضبي.. لا يجدي نفعا.
- هذا يعني أنك تحتفظين به لنفسك، وهذا بالذات ما يخيفني.
- لم أكن أعلم أنني أبدو مخيفة وأنا هادئة ولطيفة وأنا غاضبة.. يا له من تناقض. ردت سلمى ضاحكة

عادت نور إلى فنجانها لتعود بذلك إلى طفولتها، لن تنسى أبدا يوم جاء بها العميد كريم إلى بيت سلمى يطلب منهم إبقاءها والاعتناء بها إلى أن يأخذها إلى الميتم، كان حينها مايزال ضابطا شابا لم يستطع تركها وحدها.. خاصة عندما علم بأنها فقدت والديها جراء حادثة سير، بكت كثيرا ولم تستطع الحديث أو الصراخ، ظلت صامتة وساكنة إلى أن عادت سلمى من عطلتها ببيت الجبل بعد أسبوع، حينها حكت لها والدتها قصة نور، كانت هي الأخرى لاتزال طفلة وقد فقدت والدها وهي في السابعة، غادر فجأة دون أن يودعها وبعد سنة تقريبا بلغهم خبر وفاته. كانت سلمى هي الوحيدة التي استطاعت في النهاية أن تخرج نور من صمتها وتجعلها تصرخ، وبعدها استطاعت

أن تحكي للشرطة تفاصيل الحادث.. لكن عندما أراد الضابط كريم آنذاك أخذها إلى الميتم لم تقبل سلمى بذلك، وظلت تلح على والدتها من أجل أن تتبناها لتعيش معهم.

- أووه.. أنت من تبدين هادئة الآن ! تحدثت سلمى
- علينا أن نخطط لكشف الخائن.
- أهذا ما كنت تفكرين به؟ ! لا عليك وضعت خطة مسبقا ومجيئنا إلى هنا ليس إلا جزء منها.
- كيف؟
- أنصتي إلي جيدا، أعضاء فريقنا نعرفهم واحدا واحدا من خلال العمل.. العميد كريم صديق للعائلة منذ زمن، متزوج وله ولدان يدرسان الهندسة والطب بالجامعة.. يعيش حياة مستقرة، خالد زميلنا يعيش مع والديه ليعتني بهما، حياته روتينية نوعا ما.
- يا إلهي لديك ذاكرة قوية، لكن ماذا عن عادل الضابط الجديد بالفريق؟ لا نعرف عنه شيئا.
- عادل ليس غريبا عنا إنه صديق مصطفى، يعمل بالقسم منذ تخرجه لديه صديقة اسمها سارة يرغب في أن يتقدم لخطبتها لكنه متردد أو خائف لا أدري.
- مهلا، من أين أتيت بكل هذا؟ ومتى؟
- ذهابي إلى بيت الجبل لم يكن عطلة.. مثلما مجيئنا إلى هنا ليس بعطلة ولا فترة راحة.
- بالنسبة لي أستبعد العميد كريم من دائرة الشك، نعرفه منذ طفولتنا إنه رجل نبيل.
- عزيزتي كلهم وبدون استثناء مستبعدون من دائرة الشك وفي نفس الوقت جميعهم وبدون استثناء في قلبها.. المجرم يعرفني جيدا ومطلع على كل تحركاتي، حان الوقت لأنازله على رقعته.

الأرق اللعين.. لطالما كان عنوانا لياليها بعد وفاة والدتها، تنام متأخرة وتستيقظ باكرا جدا والكوابيس تطاردها، واليوم بعدما جعلت مع نور البيتزا اللذيذة عشاء لهما.. كانت تأمل أن تنام في هدوء كما اعتادت أن تفعل، لكن ليس كل ما نأمله يتحقق، خلدت نور إلى النوم متعبة بينما جلست جوارها تقرأ رواية من روايات أكاتا كريستي المشوقة، باتت الليل كله تقلب الصفحات تارة وتغمض عينيها لتفكر في حل للجريمة تارة أخرى حتى ما عادت تستطيع المقاومة، أغمضت عينيها واستسلمت.

السابعة صباحا، ضجيج قادم من المطبخ..، سلمى تتقلب في فراشها منزعجة تحمل وسادة وتضعها على رأسها وأدنيها، فجأة تتذكر مكان تواجدها وكل الأحداث السابقة في رمشة عين وتنهض في فزع، تخرج مسرعة تحمل مسدسها وتدخل المطبخ في حالة تأهب لتتفاجأ بنور تحضر الفطائر، والمطبخ في حالة فوضى عارمة، تنظر إلى سلمى وإلى المطبخ فتدرك فعلتها، أما سلمى فتأخذ نفسا عميقا وتزيح المسدس جانبا.

- هل ستقتلينني؟ سألت نور
- يا إلهي، يبدو أنك من ستتسببين في قتلي. ماذا تصنعين؟
- الفطائر..!
- الفطائر؟؟ رباه !

غادرت سلمى المطبخ لتتمدد فوق الأريكة، شغلت التلفاز لتصادف وثائقيا يستضيف بعض الناجين من انفجار المستشفى قبل عام، تذكرت فورا تاريخ اليوم.. لقد كان ذكرى أليمة، ظلت مستلقية تشاهد الناجين يتقدمون بالشكر لرجال الشرطة على ما قدموه من تضحيات آنذاك، ويفتخرون بإلقائهم القبض على المجرم الذي كان سببا في تلك الأزمة، ابتسمت سلمى وأطفأت التلفاز بينما نور كانت تضع الفطائر على الطاولة.

- رأيته أليس كذلك؟ سألت نور
- نعم، كنت قد نسيت أن اليوم هو الذكرى الأليمة.
- لم أرغب في أن تشاهدي ذلك..
- لا بأس، ألن نتناول فطائر حرب المطبخ؟ !
- بلا، سأحضر المائدة فورا. ردت نور مبتسمة

وقبل أن تتناولا طعام الإفطار سمعتا طرقا بالباب، نظرت نور إلى سلمى وكأنها تقول "أهي الخطة..؟ ابتسمت سلمى ابتسامة خفيفة وماكرة جدا وكأنها ترد "الآن سنلعب"، وضعت فنجان القهوة واتجهت تفتح الباب.

- سيدي العميد، مرحبا بك.. خالد عادل أهلا بكما.
- أهلا سلمى، شكرا على هذه الالتفاتة. رد العميد كريم

- اووه إنها الفطائر.. أشتاق حقا لفطائر نور. تحدث خالد وهو يجلس ويمسك بيده فطيرة.
- على مهلك خالد، لا نريدك أن تختنق. ردت نور وهي تضحك
- شكرا سلمى لأنك اتصلت بي. قال عادل
- على الرحب، أنت واحد منا الآن. ردت سلمى

جلس الجميع إلى المائدة يتناولون الفطائر الصباحية معا ووجوههم مشرقة، يلاعبون بعضهم البعض في جو من المرح حتى أنهوا وجبتهم، حضرت سلمى القهوة للجميع وجلسوا يتبادلون أطراف الحديث. حكت لهم نور عن تجربتها المخيفة، ثم قص خالد عليهم ردة فعل سلمى بالمطعم قبل أن يجدوا نور، كانت جلسة للمصارحة بكل ما أحسوا به وهم يحلون هذه القضية لانقاد نور.

- لم أكن أظن أني مهمة إلى هذه الدرجة. تحدثت نور متباهية.
- حسنا صارت تعرف الأن، لن تتوانى ولا ثانية في تذكيرنا بهذا. ردت سلمى
- اسمحوا لي سأذهب إلى الحمام. قال خالد
- طبعا، تفضل. أجابت نور
- منزلك جميل سلمى. تحدث عادل
- شكرا.. إنه منزل والدتي وطفولتي. ردت سلمى

انتظر الجميع خالد حتى عاد ثم اقترحت نور الذهاب لتناول وجبة الغذاء بمطعم ما من اختيار سلمى، لطالما وثقت في اختياراتها للأماكن، وعلى الفور رحب الكل بالفكرة، لكن سلمى هذه المرة فاجأتهم بفكرة مختلفة.

- لم لا نخرج في نزهة إلى منتزه "تازكة" ونتناول الغذاء هناك؟ !
- جميل. قالت نور
- أنا أتفق. تحدث خالد
- ونحن كذلك. أضاف العميد كريم وعادل في نفس الوقت

رافق عادل وخالد العميد في سيارته إلى المنتزه بينما عرجت سلمى ونور على أقرب مطعم لشراء الطعام، لم تتكلم سلمى طوال الطريق، كانت صامتة فقط وتستمع لأغنية **"*I'll be your mirror*"** بصوت **"*Taylor hickson*"** في هدوء تام متأملة رحلتها تلك.

- ماذا هناك؟ سألت نور

نظرت إليها سلمى نظرة المتردد في البوح بشيء ما مريب، ثم عادت لتراقب الطريق أمامها بعد أن خفضت من صوت الموسيقى، أخذت نفسا متقطعا وكأنها تتألم.

- سلمى ماذا هناك؟ هل أنت مريضة؟ أنت تخيفينني.
- أظنني اكتشفت الخائن.
- من يكون؟
- لا أصدق ذلك، لا أريد أن أصدق ذلك !
- اهدئي سلمى، أنت تقودين.. يجب أن تحافظي على هدوئك. من يكون هذا؟
- خالد..
- ماذا؟ لا يمكن.. مستحيل.
- آمل أن أكون مخطئة حقا.

وقبل أن تسأل نور عم اعتمدت عليه سلمى لتصدر هكذا حكم كانوا قد وصلوا، أخذت سلمى نفسا عميقا ثم حملت الطعام والتحقتا بالبقية، كانتا تتصرفان بشكل عادي جدا، لم ترغبا في لفت الانتباه، تناولوا وجبتهم وأخذوا جولة في المكان ثم عاد كل منهم إلى بيته، بينما طلبت نور من سلمى مرافقتها، فبعد الذي قالته لم تستطع تركها وحدها وهي تعرف ما يمثل خالد لها وفي نفس الوقت كانت تريد أن تفهم سبب هذا الاتهام.

البيت أكثر ترتيبا مما كان عليه عندما زارته سلمى آخر مرة، ارتمت على أقرب أريكة صادفتها منهكة، لم تكن ترغب في الحديث أو النقاش، لم تكن على استعداد لأي مواجهة أو تحليل أو تحقيق، كانت تريد أن تقوم بأي شيء يمكنه أن يلهيها عن كل ذلك، ونور كانت متفهمة جدا، فهي تعرف صديقتها جيدا، خالد كان الشخص الوحيد الذي لم تلمه سلمى بعد الحادث الذي وقع، لأنه كان بعيدا عن مكان العملية حريصا على التنسيق بينها وبين البقية، لقد بلغ رسالتها كما يجب وهم من لم ينفدوا ما أوصت به، لا يمكن أن يكون هو نفسه الخائن لأنه كان قريبا من سلمى.. تخرجا معا بنفس السنة والتحقا بالمركز كذلك معا حيث تعرفا على مصطفى وكمال قبل أن تلتحق بهم نور بالعام الموالي ويشكلوا فريقا رائعا، مروا جميعا بالكثير من المواقف كان خالد وفيا فيها

ومخلصا لرفاقه، وعندما حدث الانفجار وفقدوا كمال ومصطفى ثم رحلت سلمى كان أكثرهم حزنا ويأسا، كيف إذن يمكن أن يصبح خائنا بعد كل هذا؟ كيف يمكن أن يكون بهذه القدرة الهائلة على الخداع؟ تسللت نور بعد ساعات إلى غرفة سلمى لتتفقدها، كانت نائمة والدموع بعينيها، وملامحها توحي بتعب شديد والكثير الكثير من الخيبة، تـأملتها لدقائق وهي تتساءل كيف تراها تتحمل كل هذا دفعة واحدة إذا كانت على حق وتأكدت شكوكها؟ كيف ذلك وهي التي مرت بالكثير من المصاعب؟ فقدت والدها أولا بعد أن انتظرت عودته طويلا، وفقدت والدتها وأختها في حدث أقل ما يمكن أن يقال عنه كارثة، واكتشفت أن المجرم الذي تسبب في كل ذلك ما يزال طليقا يعيش حياته بشكل عادي بل وأكثر من هذا عاد ليتلاعب بها وبكل من حولها، فهل لازال لديها مكان لخيبة أخرى؟ دمعت عيني نور فغادرت الغرفة بهدوء حتى لا توقظها، وما إن أغلقت الباب خلفها بلطف حتى فتحت سلمى - التي كانت مستيقظة طوال تلك الفترة – عينيها، أخذت هاتفها وشغلت نظام تحديد المواقع لترى إن كان خالد قد غادر المدينة، لقد كانت فكرة ذكية منها أن تضع بسيارته عند عودتهم من المنتزه جهاز تعقب صغير متصل بهاتفها مباشرة، والآن صار بإمكانها أن تعرف كل تحركاته. أعادت هاتفها إلى مكانه ثم أغمضت عينيها محاولة الاسترخاء التام في انتظار طلوع الشمس.

- صباح الخير. قالت سلمى
- صباح النور عزيزتي، هل نمت جيدا؟ ردت نور
- إلى حد ما.. عموما بخير. قالت سلمى وهي تجلس إلى المائدة
- تشربين القهوة كالعادة؟ سألت نور
- طبعا. ردت سلمى
- لم تحدثيني منذ أن عدنا إلى البيت البارحة. قالت نور
- عندما كنا ببيت العائلة التحقوا بنا، أنت تعلمين أن الوحيد الذي سبق وزار بيت العائلة هو العميد كريم، لكن عندما اعتذر خالد من أجل الذهاب إلى الحمام لم يسأل عن مكانه بالبيت..
- لقد ذهب إليه وكأنه سبق واستعمله من قبل. أضافت نور
- متى؟ إذا كانت هذه أول زيارة له لبيت عائلتي. سألت سلمى مستنكرة
- يا إلهي ! وماذا الآن؟ سألت نور في حالة صدمة

- لدي متعقب بسيارته تركته أمس، وسأحاول تتبع مكالماته كذلك. ردت سلمى

عادت سلمى ونور إلى العمل بشكل طبيعي جدا، كانتا حريصتين على أن تتعاملا مع الجميع بلطف، وأن لا تلفتا الانتباه تجاه شكوكهم حتى تتمكنا من التحقيق في ذلك جيدا، كانت متأكدة أنها ستحصل على شيء ما، فغالبا ما يقع المجرم المغرور في أخطاء تودي بحياته. رتبت ملفاتها جيدا بمكتبها أخيرا وحال انتهائها اتجهت إلى المقصف لتأخذ قهوتها المعتادة ولم تكن تتوقع أن في تلك الفترة القصيرة ستحدث كل المفاجآت.

- أين الضابط سلمى؟ سألت نور عنصر شرطة
- رأيتها تدخل المقصف.

توجهت نور مباشرة إلى هناك والتوتر باد عليها، وجدت سلمى تحتسي قهوتها وهي تراجع قضية جديدة لديها.

- سلمى ! كنت أبحث عنك.
- كنت أراجع قضية جديدة.. إنها حقا مثيرة.
- ما المثير فيها؟
- امرأة تقطن بحي شعبي خرجت رفقة ابنتها وركبت سيارة ما وغادرت، عند عودتها كانت في حالة جنونية وعند دخول بيتها اكتشفت عائلتها أنها فقدت كل أشيائها الثمينة، في البداية كانوا يظنون أنها تعرضت للسرقة تحت التهديد أو ما شابه، لكن عند مشاهدتهم لأشرطة كاميرا المراقبة القريبة منهم لم يكن أي شيء من ذلك، لقد خرجت من بيتها رفقة ابنتها وانطلقتا في طريقهما فقط.
- غريب.. !
- والأكثر غرابة يقال أن هناك شاهد قد رآهما وهما متجهتين نحو السيارة ونادى عليهما مرارا إلا أنهما لم تسمعاه...
- حسنا هذا غريب.. لكن الأغرب هو ما أتيت به أنا.
- ماذا هناك؟
- وصلت رسالة أخرى.

- جميل.. ! سلمى وهي تبتسم
- كيف؟
- سترين.

أعلنت سلمى عن اجتماع طارئ للفريق بمكتب مغلق، أخذت الرسالة قرأتها للجميع "هنيئا لك بالفوز، لكن الحرب مستمرة"، كلفت كل واحد منهم بمهمة بينما احتفظت بالرسالة للبحث في تفاصيلها كما اعتادت ذلك، وما ان انتهى اليوم حتى اجتمعت بهم ثانية لتزف لهم الخبر السعيد.

- لقد حصلنا عليه. قالت سلمى
- من؟ سأل عادل
- المجرم الذي فر منا منذ عام. أجابت سلمى
- كيف؟ سألت نور
- تعلمين.. دائما ما يقع كبار المجرمين في الأخطاء القاتلة، هذه المرة صديقنا نسي جزء من بصمته على الرسالة. ردت سلمة باسمة وواثقة.
- لا يمكن. تحدث خالد متفاجئا
- لم؟ ألديك شك في بحثي؟ سألت سلمى
- كلا، لكن دائما ما كان محتاطا من هذا.. رد خالد
- حسنا هذه المرة لم ينجح في ذلك. ردت سلمى مقاطعة
- والآن ماذا؟ سألت نور
- غدا سنضع خطة للقبض عليه، والآن لم لا نحتفل؟ ردت سلمى في هدوء
- لم لا.. أين ستأخذينا هذه المرة؟ سأل عادل
- مقهى "*The time*"؟ تساءلت سلمى
- نعم نعم. نور متفائلة
- ماذا عنك خالد؟ سألت سلمى
- حسنا سألحق بكم. رد خالد
- أوكي، سنكون بانتظارك. قالت نور

غادر الفريق القسم وظل خالد يحاول استعمال هاتفه دون جدوى، يتصل ويتصل لا أحد يرد ثم أخذ محفظته وسترته وغادر مسرعا. كان الجميع بانتظاره في المقهى، أحضر لهم مروان مشروبات ومأكولات خفيفة، وقضوا وقتا ممتعا إلا أن خالد كان منشغلا ومتوترا طوال الوقت. دقت ساعة الصفر إنها الثانية عشر ليلا، اعتدر عادل وغادر للنوم، أوصلت سلمى ونور خالد إلى بيته ثم غادرتا إلى شقة سلمى هذه المرة، دخلت نور متعبة ومباشرة إلى السرير، وجلست سلمى تشاهد التلفاز على الأريكة حتى استسلمت للنوم.

النوم؟ من أين يأتيه النوم بعد الموقف الذي وضع نفسه فيه، الانتقال الذي كان نتيجة قراره من صديق إلى عدو، من وفي ومخلص إلى خائن وكاذب. دخل البيت مهموم الحال ويداه ترتجفان، اطمأن على والديه النائمين وعاد إلى غرفته وحيدا، أحس أن نهايته قريبة جدا.

شعاع الشمس يداعب كل ركن في الغرفة، والمنبه يستمر في الصراخ يندب حظه مع شخص لا يحب الاستيقاظ باكرا، خرجت نور وهي في حالة فوضى لتتفاجأ بسلمى نائمة على الأريكة تاركة التلفاز مشغلا وهي تمسك بجهاز التحكم قبل أن تقفز في مكانها بعد أن دق جرس المنبه للمرة الثالثة.

- ما الذي تنظرين إليه؟ سألت سلمى
- لا شيء، خزينة لحال المنبه. ردت نور ساخرة
- وما بال المنبه، أتوفي أحد من عائلته؟ ردت سلمى بالسخرية ذاتها

ضحكت نور لذلك ثم راحت تحضر نفسها بينما تأخذ سلمى حماما دافئا استعدادا لبدء يوم حافل بالأحداث.

- هل أنت جاهزة؟ سألت نور
- أكيد. أجابت سلمى

وانطلقتا معا صوب تحقيق العدالة وهما تعرفان أن ذلك متصل بإسقاط صديق في فخ الاعتراف بخيانته، لم يخطئ المجرم ولم يترك أية بصمة على الرسالة لكن سلمى كانت متأكدة من أن خالد سيتصل به إذا أعطته هذه المعلومة، وهذا طبعا ما كانت تريده حتى تسجل المكالمة وتثبت خيانته وتواصله مع المجرم الذي كانت تريد الإمساك به منذ سنة.

استمر خالد بمحاولاته المتواصلة في أن يبقى هادئا، لكنه كان يعرف في داخله أنه سيكشف قريبا بالقبض على المجرم الذي لم يجب على أي من اتصالاته، وفي الجهة المقابلة كانت سلمى تنتظر اللحظة المناسبة للحصول عليه وإن كانت لم تصدق بعد هذه المستجدات، ببالرغم من أنها متأكدة من أن خالد هو الخائن إلا أنها كانت تتمنى أن تكون على خطأ، وأن تضطر للاعتذار منه بدل أخده إلى السجن.

مر اليوم بطيئا والكل يعمل بالمركز تحت الضغط، حل الليل وانتهت ساعات العمل وكادت سلمى تفقد الأمل في كشف خيوط الجريمة لولا أن رن هاتف خالد وهو عند الباب يهم بالمغادرة، عاد من فوره إلى إحدى غرف الاستجواب ليرد، كان متأكدا أنه لم يره أحد.

- مرحبا خالد.
- مرحبا سيدي.
- ما الأمر؟ كيف حالك؟
- سيدي لقد كشفوك، لقد تمكنوا من التوصل إلى إحدى بصماتك بالرسالة الأخيرة، كنت أتصل بك لأخبرك، عليك أن ترحل.
- خالد، أيها الغبي ! لقد كشفوك أنت، لم يكن علي أن أتصل بك.
- ماذا؟ كيف؟
- أيها الغبي، لا يمكن أن يكشفوا بصماتي لأنني لم أكتب الرسالة، لقد طلبت من رجالي فعل ذلك، لم أمس الورق قط.
- كيف؟ لا يمكن !

- كما سمعت، أنت من كشفوك، إياك أن تخبرهم عني.. لا تنس والديك.

كانت آخر جملة سمعها خالد قبل أن ينقطع الخط ويسمع صوت سلمى خلفه مباشرة وهي تصفق على المشهد بكل هدوء وثقة.

- هنيئا لك صديقي بهذا الإنجاز.. ⁄ قالت سلمى
- سلمى، أرجوك الأمر ليس كما تعتقدين.
- اجلس خالد، لقد اخترت غرفة استجوابك.
- سلمى، أرجوك اسمعيني أولا.
- طبعا سأسمعك، هذا ما أخطط له.

دفعت سلمى خالد إلى كرسي الاستجواب ليجلس، وأخذت مقعد الضابط، وضعت ملف كل الجرائم التي قام بها المفجر على الطاولة وأضافت إليه صورة خالد، كان جالسا لا يحرك ساكنا، يعرف جيدا أن أمره قد انتهى، وسلمى لن تغفر له أبدا.

- لماذا؟ سألت سلمى
- تعرضت للتهديد من طرفه. أجاب
- أتمازحني؟
- كلا، لقد هددني بقتل والدي.
- لا تكذب خالد والداك كانا خارج البلاد ولم يعودا إلا بعد أن سمعا بما حدث العام الماضي، لقد كانا خائفين من فقدانك مثلما فقدنا زملاءنا فقررا الدخول إلى أرض الوطن والاستقرار رفقتك.
- لكن..
- لا تكذب خالد، انظر إلي وتحدث.. كان الأمر من أجل المال أليس كذلك؟
- لا..
- الترقية إذن؟
- لا.. لا .. لا..
- ماذا إذن؟ ما السبب؟

- أنت/
- ماذا؟ سألت سلمى متفاجئة وغاضبة
- أنت السبب في كل ما حدث.. لقد أحببتك بجنون لكنك لم تكترث لي يوما، كنت أود أن أجعلك أقرب إلي لكنك أهنتني أمام الجميع وابتعدت.
- ما الذي تتحدث عنه، لقد كنت صديقي لم أرغب في تدمير تلك الصداقة.. لقد اعتذرت منك بكل لباقة، لم فعلت هذا؟ لقد دمرتنا وحطمت كل ما كان بيننا.
- سلمى..
- لا.. توقف، والآن أخبرني ما الذي أرسلك لتبحث عنه في بيتي.
- سلمى أرجوك تراجعي عن القضية.
- كلا.. أخبرني الآن، عم كنت تبحث في بيتي.
- لا أعرف..

صفعت سلمى خالد ودفعت به صوب الجدار تمسكه بقوة، رأت نور ذلك خلف الشاشة فتدخلت من فورها لتوقفها دون جدوى، دفعتها هي الأخرى بعيدا ثم أعادت طرح السؤال مرة أخرى وهي توجه لكمتها إلى وجه خالد الذي لم يتوقف عن ترديد "لا أعرف.. لا أعرف.."، وأخيرا تدخل عادل وأمسك بها ليبعدها عنه، لقد كانت وحشا هائجا لن يتوقف حتى يقتله.

- خالد أرجوك لقد آلمتنا بما يكفي، فقط أخبرنا. تحدثت نور
- لا أعرف..، لقط طلب مني أن أبحث عن صندوق صغير قديم كانت والدتها تخبئه بالبيت لهذا ذهبت إلى هناك.
- صندوق قديم؟ أيعرف هذا الوغد أمي؟ سألت سلمى
- أكثر مم تظنين، إنه يعرف كل شيء عنك وعن والدتك ووالدك.
- والدي؟ كيف؟ لم أنا؟
- لا أعرف، سألته مرارا عن ذلك، لم اختارك أنت بالذات لكنه لم يجب يوما.

حملت سلمى معطفها ومفتاح السيارة وهمت بالمغادرة لكن نور أوقفتها، كانت تعرف أنها في حالة لا تسمح لها بالقيادة أو التفكير حتى، لذلك قررت مرافقتها إلى حيث تذهب، وبالطبع كانت الوجهة الوحيدة لدى سلمى هي بيت العائلة لتبحث عن الصندوق الذي تحدث عنه خالد.

- هل تعرفين مكانه؟ سألت نور
- أتذكر أن والدتي كانت تخبئ أشياءها في مكان من البيت لا يستطيع أحد بلوغه.
- أين هذا؟
- لا أتذكر بالضبط، لكن متأكدة أنه كان مكانا تحت الأرضية.
- أتقصدين حفرة؟
- شيء كهذا.

وصلتا بيت العائلة بأسرع ما يمكن، وفور دخولها شرعت سلمى ترفع كل الزرابي التي كانت تغطي الأرضية الخشبية، ونور تساعدها بالبحث عن أي باب أو مفتاح ما يمكنه أن يبين المكان المقصود، دون فائدة.

- مهلا، توقفي هناك. تحدثت سلمى
- ماذا؟
- لا تتحركي.
- ماذا؟ أنت تخيفينني.
- اسمعي صوت الأرضية، إنه مختلف هنا عن بقية البيت، هناك تجويف.
- وترتيب القطع الخشبية للأرضية مختلف كذلك، انظري.

ضغطت سلمى بقوة على القطعة المختلفة فارتفعت من الجانب الآخر، ليظهر صندوق متوسط الحجم يبدو عليه القدم، يتوسطه قفل صغير يحتاج لشيفرة من أربعة أرقام للفتح.

- يا إلهي، من أين سنحصل على الرقم السري لفتحه الآن؟ تساءلت نور
- لم تكن أمي لتختار رقما بعيدا عنا، لابد وأن هناك حل ما.
- أين؟
- هنا في البيت.. شيء بعيد قريب.
- ماذا عن الصور المعلقة على الجدار إلى جانب المدفئة؟
- حسنا، ما الشيء الذي يتكرر في الصور جميعا؟
- أنت، والدتك، أنا..

- قلت شيئا مشتركا في جميع الصور؟
- مهلا، إنه كلبك الذي كنا نلاعبه ويرافقنا أينما ذهبنا.
- ريكس/ إنه هو.. صديقي الوفي الذي لم ينسني يوما مهما ابتعدت.
- لكن كيف ذلك؟ المفتاح يحتاج إلى أرقام بينما لا نملك غير الاسم.
- نعم لكن كل حرف يصادف رقما في حساب عدد الحروف الهجائية.
- حسنا لنرى، الراء هو الحرف العاشر، الياء هو الحرف الثامن والعشرين، الكاف هو الحرف الثاني والعشرين، وأخيرا لدينا السين هو الحرف الثاني عشر، في نظرك كيف سيعمل هذا؟
- لا أعرف نور، لا أعرف، هناك شيء ما يفوتنا.
- تمهلي قليلا، ركزي في الصور إنها مرتبة حسب السن، لكن أنظري لموضع ريكس في كل صورة.
- أووه أجل، الصور الأربعة الأولى يقف ريكس إما على يميني أو يساري، بينما البقية غالبا في الوسط، طبعا يا إلهي إنها إشارة لأرقام الوحدات أو العشرات لعدد كل حرف.
- حسنا لنبدأ من جديد، الراء يقابله الرقم صفر، الياء يقابله الرقم اثنان، الكاف يقابله الرقم اثنان كذلك، أما السين فيقابله الرقم واحد... ماذا هل فتح الصندوق؟
- بلا، لقد فتح.
- ماذا هناك؟
- الكثير من الأشياء، وهناك رسالة.

جلست سلمى تمسك بيديها الصندوق مندهشة، إنها رسالة من والدتها التي فقدتها منذ عام، كيف لم تفكر في البحث عن هذا الصندوق من قبل؟ كيف نسيت وجوده أصلا لولا أن وقع ما وقع؟ ولم فكرت والدتها في كل هذه التفاصيل الصغيرة وكأنها كانت على دراية بما سيحدث؟ فتحت الرسالة ونور تجلس إلى جانبها وبدأت تقرأ.

"إلى ابنتي الوحيدة، صغيرتي وطفلتي، إن كنت تقرئين هذه الكلمات فهذا يعني أنني لم أعد موجودة، وأن ما توقعته قد حدث فعلا.

صغيرتي، أثق بك وأعرف أنك ستصلين إليها أولا، وأعرف أنك في حالة فوضى تتساءلين لم أنت بالضبط؟ ببساطة لأن الأمر منذ البداية متعلق بك أنت وحدك لا سواك. طفلتي، قبل أعوام

تعرفت على والدك وأحببته كثيرا حتى أني تخليت عن كل أحلامي لأحقق حلم البقاء والعيش معه، لقد كان شخصا محبا وحنونا جدا، تعرفنا على الكثير من الأصدقاء وتنقلنا كثيرا بين المدن إلى أن اكتشفت أنني حامل فقررنا الاستقرار مؤقتا بمدينة تازة ببيتنا هذا، كنت محظوظة جدا بهذا، تعرفنا على جيراننا وأنشأنا علاقات جيدة معهم، سعدت جدا بولادتك ومجيئك إلى هذا العالم لأمسك بك بين يدي.. كان ذلك أروع ما حدث لي، ووالدك كذلك كان ينظر إليك بفرح كبير وكان أمله الأول والأخير أن تكبري وتحققي ما لم يتمكن هو من تحقيقه، مر الوقت وازدادت المسؤوليات وصار والدك كثير السفر، وكلما سألته عن مكانه تجاوز سؤالي، تعبث كثيرا وطلبت منه البقاء معنا لكنه لم يستمع إلي، حمل حقيبته ورحل، كنت أظنه سيعود إلينا بعد فترة كما كان يفعل دوما لكنه لم يفعل، رحل عنا نهائيا ولم يعد. بعد فترة اكتشفت أنني حامل بأختك الصغرى، تفاجأت وتملكني الخوف لكنني كنت سعيدة في داخلي، سأجرب شعور الأمومة من جديد، وبالرغم من أن والدك رحل عنا إلا أنني ظللت متمسكة بأمل عودته إلينا.

طفلتي، ستتساءلين لماذا أحكي لك هذه القصة بعد كل هذه المدة، ببساطة لأنني رأيت الختم الذي كنت تتوصلين به في رسائل ذلك المجرم السفاح، وهذا الختم أعرفه جيدا، إنه ختم والدك، لقد كان خاتم زواجنا به النقش نفسه الذي يختم به المجرم رسائله، والدليل على كلامي هو خاتمي الذي ستجدينه في الصندوق، إنه الختم نفسه، لا أعرف كيف وصل خاتم والدك إلى مجرم، ولكنني متأكدة أن هناك علاقة بين هذا وبين اختفاء والدك، وأعلم أنك ستبحثين في الأمر ولن تتواني حتى تلقين القبض عليه وتنتقمي لأبيك ولكل من مات على يديه. أمك التي تحبك"

أنهت سلمى الرسالة والدموع بعينيها، ثم أخذت الصندوق وأخرجت منه خاتم والدتها لتجد نفس النقش الذي تجده دائما في ختم الرسائل التي توصلت بها طيلة هذه المدة، لم تتمالك أعصابها، لقد انهارت تماما وهي تبكي بينما نور تمسك بها بين دراعيها.

- من يكون؟ سأل العميد كريم
- لا نعرف سيدي. أجابت نور
- حتى الآن. علقت سلمى، ثم غادرت المكتب متجهة نحو الباب لتغادر المركز.
- رافقيها، لا تدعيها وحدها. خاطب العميد كريم نور

خرجت نور مسرعة لتلحق بسلمى التي اختارت أن تتمشى هذه المرة، كانت تسير بخطى تائهة، لا تعرف كيف يمكنها أن تقبل كل هذه المستجدات دفعة واحدة.

- صديقتي الغالية أرجوك قولي شيئا. تحدثت نور
- ماذا سأقول يا نور؟ ألا ترين كل هذا الواقع المحيط بي؟
- عليك أن تتماسكي عزيزتي.
- كيف ذلك؟ لقد قتل والدي نور، وتسبب في مقتل والدتي، وهو الآن يرغب بشدة في تحطيمي. ولا أحد منا يعرف السبب.
- مهلا، كيف عرفت أنه قتل والدك؟

- أرجوك نور.. كيف حصل على الخاتم الذي يستعمله في ختم كل رسائله لي، لقد كان خاتما مهما بالنسبة لوالدي، ولم يكن لينزعه بسهولة وهو الآن ميت.
- حسنا لنعد إلى البيت، ونكمل حديثنا هناك.
- لا أريد أن أذهب إلى أي مكان قد يذكرني بكل هذه التفاصيل التي تملك تفكيري وتستهلك كل خلية من دماغي.
- حسنا لنذهب إلى شقتي.. هيا أرجوك.

أمسكت نور بسلمى وأخذتها معها إلى شقتها لتستريح، جهزت لها الحمام وتركتها في حالة استرخاء، دخلت غرفتها لتجد رسالة نصية من العميد كريم، وفور قراءتها للرسالة اتصلت به ليخبرها أن خالد يرغب في المساعدة ويريد التحدث إلى سلمى، لكنها اعتذرت وأجلت اللقاء إلى الغد. لم تكن لتجعل سلمى تعيش لحظات أخرى من التوتر والشتات في يوم واحد، ولم تحدثها عن أي شيء من ذلك، فقط انتظرتها حتى انتهت من حمامها وأخذتها إلى سريرها لتنعم ببعض الهدوء وتنام قليلا.

الثامنة صباحا، خالد في غرفة الاستجواب رفقة العميد كريم ينتظران، سلمى استيقظت وألم يكاد يكسر جبينها، بسرعة ارتدت سروالا رياضيا أسودا رفقة قميصه الرمادي، وضعت قبعة على رأسها ونظارات شمسية، حملت كوب قهوتها وصارت جاهزة للذهاب، وعلى غير عادتها لم تأخذ هذه المرة معطفها المفضل، جلست في المقعد الخلفي للسيارة تاركة لنور حرية القيادة.

كان الكل بالمركز ينتظر رؤيتها بعد كل ما حدث سلفا، لكنها دخلت صامتة وتوجهت إلى غرفة الاستجواب مباشرة، حيث طلبت من العميد كريم تركها وحدها مع خالد، لم يرغب في ذلك أول الأمر لكن خالد رفض الحديث في حضور أي شخص دون سلمى، وضعت كل حاجياتها جانبا دون اكتراث وجلست أمامه تشرب القهوة وتضع قدميها على الطاولة.

- ألن تقولي شيئا؟ سأل خالد
- أنتظرك. أجابت سلمى في هدوء تام
- أريد المساعدة. رد خالد
- أين هو؟ سألت سلمى

- لا أعرف مكانه.

أنزلت سلمى قدميها لتغادر الغرفة قبل أن يضيف خالد جملة غيرت رأيها.

- لكنني أعرف شخصا متأكد من أنه يعرف مكانه.
- من؟ سألت سلمى بتركيز
- اجلسي.. أرجوك.
- حسنا... والآن من يكون هذا؟ سألت سلمى بعد أن عادت إلى مقعدها مجددا
- مروان.
- مروان؟ من مروان؟
- النادل في مقهى *The Time*.
- ماذا؟ لكن كيف؟
- ذلك المقهى كان مكانا يجلس فيه المفجر.. إنه مكانه المفضل.
- وطبعا تعرف على مروان هناك.. وصار خادمه، يا لكم من أوغاد.

غادرت سلمى الغرفة للتوجه إلى مروان، أوقفها العميد كريم لكي تنتظر حتى تجهز العناصر وترافقها للقبض عليه لكنها رفضت ذلك. كانت تريد أن تذهب بشكل سلمي وأن تمسك بمروان دون أن تثير أي جدل حتى لا يعلم المفجر بهذه الخطوة فيهرب كما يفعل دائما، فكر العميد كريم في كلامها مليا وأدرك أنها على حق، لهذا وافق على خطتها شريطة أن ترافقها نور وعادل إلى هناك.

وصلت نور المقهى وهي تضحك بصوت مرتفع محدثة عادل الذي يبتسم هو الآخر بينما نور تركن السيارة، لاحظ مروان تواجدهم هناك لكنه لم يعط لذلك أهمية كبيرة، لقد أتوا كما اعتادوا فعل ذلك، حيته سلمى كما كانت تفعل دوما وعرفته على صديقهم الجديد عادل ثم طلبت منه أن يحضر لهم الفطور المعتاد، تناولوا جميعا طعامهم وشربوا القهوة اللذيذة وهم يدردشون ويتحدثون عن بعض الملفات العالقة، ثم أخيرا وضعت نور الحساب على الطاولة وغادروا المقهى، لم يفهم عادل شيئا وعندما حاول أن يسأل سلمى أومأت له بالصمت، وما إن ركبوا السيارة حتى جاء مروان ينادي سلمى وهو يحمل هاتفها، طلبت منه أن يركب السيارة حتى تحدثه قليلا وتوصيه بشيء، لكن

ما كاد يغلق الباب خلفه حتى أفقدته وعيه بضربة قوية على رأسه بواسطة سلاحها، وفورا أدارت نور مفتاح السيارة وانطلقت إلى شقة سلمى.

- أين أنا؟ ما الذي أفعله هنا؟ تساءل مروان وهو يستعيد وعيه
- أنت مقيد إلى كرسي بشقتي سيد مروان. ردت سلمى
- آنسة سلمى، لماذا؟ ماذا فعلت؟
- أين يعيش المفجر؟ سأل عادل
- من؟ تفاجأ مروان
- حسنا.. اسمعني عزيزي لقد ألقينا القبض على خالد، لن يكون هناك من يحميك إن لم تحم نفسك، نعرف أنك على دراية بمكان عيشه، لا داعي لنضيع وقتنا أكثر. ردت سلمى
- تعاون معنا لنلقي القبض عليه، لقد تسبب في مقتل الكثيرين وإلى الآن لا نعرف السبب، إنه شخص أحمق لا يعير اهتماما لأرواح الناس. تحدثت نور
- أنتم لا تعرفون شيئا عنه. قال مروان
- أخبرنا إذن، حدثنا عنه. ردت سلمى
- كل ما يمكنني قوله هو أنك كنت دائما سبب غضبه. تحدث مروان مخاطبا سلمى
- لماذا؟ لقد تسبب في مقتل والدتي وأختي الصغرى إلى جانب أعز أصدقائي، أنا من يجب أن تكون غاضبة، والآن أخبرني عن مكانه. ردت سلمى
- لقد كان دائما قريبا منك، أكثر مما تتصورين.. آه، بالمناسبة أحببت ريكس كثيرا عندما رأيته. تحدث مروان مبتسما.
- ريكس؟.... الكوخ؟... تساءلت سلمى بصوت منخفض وهي تجلس على الكرسي المقابل لمروان.
- تفاجأت أليس كذلك؟ لا تيأسي ماتزال أمامك الكثير من المفاجآت. تحدث مروان مبتسما.

غادرت سلمى شقتها لتتجه مباشرة إلى مكتبها، أخذت شارتها ومسدسها ومفتاح السيارة واختفت، بحثوا عنها فلم يجدوها بالمركز، كانت نور متأكدة أنها قد ذهبت إلى بيت الجبل حيث تركت ريكس، أخبرت العميد كريم بشكوكها ثم اتجهت رفقة عادل خلفها ليحموا ظهرها. في هذه الأثناء كانت سلمى قد وصلت وهي جاهزة للقبض على أي شخص يعترض طريقها، كانت تريد

أن تصل إليه قبل الجميع وأن تنال تلك المحادثة الانفرادية معه شخصيا، راقبت المحيط جيدا حول الكوخ، كان ريكس مقيدا يجلس حزينا، وإلى جانبه جارها الرجل الطاعن في السن، تقدمت بحذر وأمسكت به وريكس ينبح بصوت عال ويحاول التخلص من قيوده.

- أين هو؟ سألت سلمى الرجل
- من؟ رد
- قل لي، أين هو وإلا فرغت هذا المسدس في رأسك الآن. قالت سلمى وهي غاضبة
- حسنا.. حسنا.. تمهلي.. . أجاب الرجل

وقبل أن ينطق بكلمة أصيب بطلق ناري أسقطه أرضا، أمسكت به سلمى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة محاولا قول شيء ما، حاولت فهم كلماته بصعوبة.

- كنت رائعة طفلتي، أنت حقا حفيدتي الذكية.. أفتخر بك.

تلك هي الجملة الوحيدة التي نطق بها الرجل قبل أن يموت بين يديها، كانت تحت تأثير الصدمة تردد "حفيدة؟"، "حفيدتي؟" كيف؟؟، ثم أخذت مسدسها وانطلقت تركض بسرعة نحو المكان الذي أطلقت منه الرصاصة، وهناك لم تجد شيئا غير شظية فارغة وآثار أقدام، جهزت نفسها لأي هجوم محتمل وتتبعت الآثار، إلى أن ظهر أمامها ظل رجل يحاول عبور الوادي، أمرته بالتوقف لكنه استمر راكضا، لم تتوقف هي الأخرى واستمرت في تتبعه، كانت حريصة على أن لا تعود من دونه أبدا، وفي كل خطوة تخطوها كانت تتذكر وجوه من ماتوا على يديه، وما عاشته طيلة السنة الماضية من لحظات قاسية في نفس الغابة التي تركض الآن فيها قصد إلقاء القبض عليه، تعب المجرم الذي كان يقصد الطريق الرئيسي حتى يأخذ سيارة إلى المدينة، توقف للحظة يختبئ خلف شجرة وهو لا يزال ممسكا بسلاحه، لم ينتبه أبدا للحركة التي كانت قريبة منه، والتي كانت طبعا سلمى، وما كاد المسكين يلتقط أنفاسه حتى فاجأته سلمى بلكمة على وجهه ثم انتزعت منه سلاحه ورمت به بعيدا، وقفت أمامه أخيرا و وجهت إليه مسدسها، مباشرة بين عينيه.

- هنيئا لك، لقد أمسكت بي. قال المجرم وهو يبتسم
- أصمت أيها الوغد الحقير، الآن سوف تتعفن في السجن. ردت سلمى
- حسنا.. حسنا.. ألا تريدين التعرف علي أولا؟ سأل المجرم

- بلا، في القسم، والآن استدر وابق يديك مرفوعتين حيث أراهما. ردت سلمى

استدار المجرم وهو يرفع يديه، وترك لسلمى حرية القبض عليه، ثم قادته إلى الكوخ حيث وجدت نور وعادل في انتظارها، اطمأنا عليها ثم أخذا المجرم إلى السيارة تاركين بعض العناصر رفقة جثة الرجل المسكين إلى أن تحضر سيارة الإسعاف لأخذها، أما سلمى ففكت قيد ريكس صديقها الوفي وأخذته إلى سيارتها وهو يقفز ويلعقها فرحا.

- ماذا ستفعلين الآن؟ سألت نور
- سأمر إلى شقتي أغير ملابسي وألحق بكما. أجابت سلمى
- هل أنت بخير؟ سأل عادل
- نعم، فقط لا تستعجلوا استجوابه، انتظروا حضوري. قالت سلمى
- حسنا سنكون بانتظارك. ردت نور

غادرت سلمى المكان إلى شقتها، بينما أخذ عادل ونور المجرم إلى المركز، كانت سلمى متعبة لكن في نفس الوقت كانت مرتاحة لأنها قامت بما كانت تريد القيام به منذ مدة طويلة، أخيرا ستتمكن من النوم في هدوء وسلام. في الجانب المقابل كان المجرم في سيارة الشرطة يخطط للهرب من قبضتهم، وما هي إلا دقائق حتى بدأ يختنق، حاول الشرطي الذي برفقته في العربة أن يساعده لكن دون جدوى، أبلغ عن حالة طارئة ثم فك قيده بعد أن تأكد أنه قد فقد وعيه اختناقا، لكن للأسف كان ذلك خطأ سيكلفهم عمل اليوم كله، ما إن أحس المجرم بأنه طليق حتى فاجأ الشرطي بضربة على رأسه أفقدته وعيه ثم أخذ مسدسه وارتمى من السيارة خارجا، ورغم أن نور وعادل تبعاه إلا أنه اختفى، بحثا في كل مكان دون أي نتيجة، وأخيرا وبعد أن بلغا العميد كريم بما جرى، قررا أن يخبرا سلمى بما حدث رغم أنهما كانا يدركان جيدا أنها لن تتقبل منهما خطأ كهذا، ولا أحد يضمن ردة فعلها.

غيرت ملابسها الرياضية بعد أن أخذت حماما دافئا، وارتدت بذلة رسمية أكثر، كان اللون الأسود طاغيا من خلال السروال الأنيق والحداء وكذلك الحزام والساعة اليدوية، سواد يخترقه قميص أنيق سماوي اللون، القليل من الزينة وصارت جاهزة لتحضر استجوابا رسميا لأخطر مجرم عرفته المدينة. وقبل أن تحمل معطفها وتغادر الشقة رن هاتفها الخلوي.

- أنا جاهزة نور، في طريقي. قالت سلمى مباشرة بعد أن فتحت الخط.
- سلمى أود إخبارك بشيء مهم. ردت نور
- ماذا هناك؟ ما الأمر؟ سألت سلمى
- المجرم.. لقد فر منا أثناء نقله إلى المركز.
- ماذا؟ ماذا قلت؟ وانتظرت كل هذه المدة لتخبريني.
- أعتذر سلمى لم نكن نرغب في إزعاجك ظننا أننا سنتمكن من إسترجاعه. قالت نور
- يا إلهي.. حسنا راقبي جهاز التتبع الذي لديك. ردت سلمى
- كيف؟ تساءلت نور

- أرجوك نور لقد وضعت أداة تعقب في جيبه أثناء القبض عليه وجهاز التتبع لديك تأكدي من مكانه الآن وأخبريني. ردت سلمى
- حسنا.. إنني أرى.. مهلا.. إنه يشير إلى ...
- إلى ماذا نور؟
- يشير إلى عنوانك.. إنه هناك.

وقبل أن ترد سلمى سمعت طرقا بالباب، أقفلت الخط وحملت سلاحها ثم اتجهت لتتأكد من الطارق، فتحت الباب ببطء لتجد المجرم أمامها مباشرة، وقبل أن تقول أي كلمة لاحظت أنه هو الآخر يحمل مسدسا بجيبه ويوجهه إليها، أدركت أنه يرغب في محادثة قبل أن ينهي العمل الذي بدأه منذ مدة، تمالكت أعصابها وسمحت له بالدخول حتى لا تثير أي شبهة، ثم بدأت المحادثة.

- لقد أتيت ؟
- أكيد، كنت أنتظر هذه اللحظة منذ زمن بعيد.. لم أنهي عملي.
- حسنا. كلانا لم ينهي عمله بعد.
- طبعا، لكنك لم تنتظر المدة التي انتظرتها.
- ألم تكن سنة قاسية علينا معا؟ سألت سلمى وهي تصب مشروبا للضيف
- سنة؟ أنت تمزحين. رد ضاحكا
- ما المضحك؟ سألت وهي تسلمه كأسه
- ويسكي؟ أنت لا تشربين. قال المجرم متعجبا
- لكنك تشرب.. لا بأس إذن بأول مرة. ردت سلمى وهي تأخذ سيجارة
- نعم، بالمناسبة اسمي طارق. أجاب المجرم معرفا بنفسه وهو يتناول سيجارة كذلك.
- طارق..؟ لكنك لا تدخن.
- حسنا.. أنت تدخنين، لا بأس إذن بأول مرة.
- لماذا؟ لم أنا؟ سألت سلمى بشكل مباشر
- ألا تتذكرين ملامحي؟ أتغيرت لهذه الدرجة؟
- كلا.

- حسنا إذن هذه حكايتي الحزينة، قبل سنوات تعرفت على امرأة جميلة أحببتها من النظرة الأولى، طلبت يدها وقبلت بي، كانت سنوات الزواج الأولى جميلة جدا وسعيدة، انتقلنا إلى بيتنا الجديد وتعرفنا على أصدقاء وجيران جدد، كنا ننوي أن نغير المكان كما اعتدنا بحكم عملي، لكنها فاجأتني ذات ليلة بخبر حملها، تركتها وغادرت وحدي، مر الوقت بسرعة وأنجبت مولدنا الأول، كنت سعيدا بذلك وقررت الاستقرار بذلك البيت بشكل نهائي، وفي إحدى رحلاتي تعرضت لحادث ودخلت المستشفى، قمت بالكثير من الفحوصات وخضعت لعملية جراحية، ولم أعد بعدها إلى البيت. أتعلمين لم اخترت ألا أعود؟
- لم؟ سألت سلمى والدموع بعينيها
- لأن من بين الفحوصات كان هناك فحص أظهر أنني لا أستطيع الإنجاب، وهذا يعني أن زوجتي الحبيبة قد خانتني مع رجل آخر. أتعلمين ماذا قررت بعد ذلك؟
- ماذا؟
- أن أنتقم منها ومن البغيض الذي خانتني معه، لقد اختبأت ونشرت خبر وفاتي وجلست أشاهد من بعيد، اكتشفت أنها ستنجب مرة أخرى ولم أتدخل في ذلك، فقط كنت أشاهد بنتيها تكبران معها وحبيبها يزورها من وقت لآخر ليطمئن عليها، وبعدها شرعت في تنفيذ انتقامي، كنت أخطط لأن تبقى حتى النهاية وترى خسارتها لعائلتها، كنت أرغب في أن أرى حزنها وهي تخسر أعز الناس لديها. أتعلمين من أكون الآن؟ طارق ليست مصادفة والخاتم كذلك ليس مصادفة.
- لقد فقدت والدي، أخبروني أنه مات لكنني لم أصدق ذلك، وعندما قرأت رسالة أمي لي عاد الأمل من جديد في أن يكون حيا وأن يكون الخاتم قد سرق منه. أتعلم ما أتمناه الآن؟
- ماذا؟
- أتمنى حقا لو أنك مت حينها ولم تعد، والآن ارفع يديك واستدر. قالت سلمى وهي توجه إليه مسدسها
- لكنني عدت الآن وسأكمل انتقامي. رد المجرم طارق وهو يرمي بحفنة تراب كانت في جيبه على عيني سلمى

استغل طارق انشغال سلمى بتنظيف عينيها وغادر شقتها هاربا، لكنه تفاجأ بعناصر الشرطة تحاصر المكان كله تحت قيادة نور وعادل بحضور العميد كريم، تأكد أن كل الطرق مغلقة فعاد أدراجه صاعدا إلى السطح ليبحث عن مخرج، لحقت به سلمى فورا وحاصرته بطلقات نارية فتوقف في مكانه موجها إليها مسدسه.

- أما زلت تحاولين اللعب، أستقتلين والدك؟ سأل طارق مستهزئا

سمع العميد كريم الطلق الناري فأمر بالتدخل فورا، وما هي إلا دقائق حتى صار السطح يعج بعناصر الشرطة ونور وعادل رفقته في المقدمة، طلبت سلمى منهم التريث وعدم التدخل بأي شكل، ثم أمرت طارق بتسليم نفسه لأن اللعبة انتهت وأمره صار مكشوفا وهو خاطئ في حكمه على أمها، لكنه لم يستمع لكلامها بل استشاط غضبا عندما رأى العميد كريم وفقد هدوءه نهائيا.

- أنظروا من أتى العاشق الولهان؟ قال طارق
- ماذا تقول إنه صديق العائلة. ردت سلمى
- العم طارق أهذا هو نفسه؟ تساءلت نور
- نعم طارق هو طارق، والآن بما أن الخائن قد حضر كذلك سأنهي العمل ببراعة.
- أرجوك ضع المسدس جانبا. تحدثت سلمى وهي تقترب منه ببطء دون أن يلاحظ
- كلا، ولا تتحدثي إلي هكذا مرة أخرى فأنا لست والدك.

التفت طارق ليطلق النار على العميد كريم لكن سلمى حالت دون ذلك محاولة الإمساك به، وفجأة أثناء صراعها معه انطلقت الرصاصة وبقي الكل متسمرا في مكانه لا يعرف من أصاب من، وقف طارق جامدا وسلمى كذلك ملتصقة به لا تتحرك.

- أتعلم؟ معك حق.. لم تكن والدي يوما فلم قد أنتظر منك أن تكون والدي الآن؟ لست ابنتك حتى وإن كنت حقا ابنتك.. لأن أمي أشرف منك بكثير أبي.

كانت هذه آخر جملة سمعها طارق من ابنته سلمى قبل أن تسقط أرضا مغما عليها، وما إن اكتشف الجميع أن الرصاصة قد أصابت سلمى حتى انهال عليه عادل ضربا بينما نور كانت تحاول إيقاف النزيف حتى تأتي سيارة الإسعاف، وأمام هذا المشهد المؤثر والفوضوي توجه العميد كريم إلى طارق وهو يحمل في يده ضرفا.

- أتعلم ما هذا سيد طرق؟ سأل العميد كريم

نظر طارق إليه دون أن يتكلم.

- هذا الضرف به نتائج حمضك النووي الذي يثبت أبوتك للبنتين معا، قبل أن ترحل لاحظت غيرتك وتصرفاتك التي صارت لا تحتمل كما لاحظت زوجتك شكوكك ونفورك من ابنتك، لهذا أخبرتني فقررنا أن نقوم بهذه الفحوصات حتى نناقش هذا الموضوع عند عودتك من رحلتك الأخيرة ونقطع شكك باليقين، لكنك لم تعد وبقي الضرف معي، لم أكن أظن أنك ستكون أنت من قام بكل هذه الفوضى، فقط لتنتقم من أجل شيء لم يكن صحيحا أبدا، لكن عندما أخبروني بما دار بينك وبين سلمى في شقتها من حديث أحضرت الضرف معي لأنهي هذا الهراء، للأسف.. حقا صدمت عندما رأيتك تصارع ابنتك وتطلق عليها النار محاولا قتلها، هنيئا لك، ابنتك تحتضر الآن بسببك وقد تتسبب في مقتلها كما فعلت مع ابنتك الصغرى البريئة وزوجتك التي احترمتك وأحبتك حتى بعد أن أخبروها أنك ميت.

رمى العميد كريم بالضرف على وجهه ثم عاد إلى سلمى يطمئن على تنفسها، أما طارق فقد تبين له أخيرا أنه كان مخطئا طوال هذه المدة، وأنه قد فقد عائلته برغبته ودمر حياة ابنته، لم يستطع الاقتراب منها ولا أن ينطق بكلمة واحدة، وتحت تأثير الصدمة لكل ما فعله لم يستطع المقاومة أكثر، وفجأة وبينما الكل منشغل بحالة سلمى نظر إليهم نظرة أخيرة ورمى بنفسه منتحرا أمام دهشة الجميع.

- صباح الخير نور، كيف الحال؟
- بخير عادل، وأنت؟
- لا أصدق أننا انتهينا من هذا الكابوس أخيرا.
- أجل، لقد حل اللغز.
- أين أنت الآن؟
- في طريقي إلى المستشفى لأطمئن على سلمى، غدا موعد خروجها.
- جميل، لم لا نقيم لها حفلة؟
- طبعا، أكيد.

أقفلت الخط وفتحت باب الغرفة، لتتفاجأ بسرير فارغ وخزانة لا تحتوي إلا على بذلة زرقاء مخصصة للمرضى، أخذت هاتفها من فورها تتصل بسلمى، لكن دون جدوى لأنها لا تجيب، وقفت قليلا تفكر ثم ابتسمت وغادرت. نصف ساعة كانت كافية لتصل إلى بيت الجبل حيث وجدت ريكس

يجلس بالباب، دخلت دون أن تصدر ضجيجا فوجدت سلمى بالمطبخ تحضر قهوتها الصباحية حاملة بيدها رواية "القاتل العاشق" لأكاثا كريستي، والموسيقى الفيروزية الهادئة منبعثة في الأرجاء.

- أنت هنا إذن؟ سألت نور مبتسمة
- من أين دخلت؟ سلمى متفاجئة
- من الباب.
- يبدو أن ريكس قد فقد القدرة عل النطق.
- بل صار يحبني.
- اممم.. ربما.
- رحلت دون أن تتركي رسالة.
- لقد أتيت.. لم أعد بحاجة لترك رسالة.
- هل أنت بخير؟
- نعم.
- أعني هل أنت بخير بعد كل ما حدث؟
- اسمعي، لقد حل اللغز أخيرا، وهذا يعني أن أمي وأختي وكل من كان ضحية له يوما.. الآن ترقد روحه بسلام.
- وماذا عنك؟ هل أنت مرتاحة؟
- مما حدث أكيد، لم يكن ليستحق عائلة كهذه العائلة ولم يستطع الحفاظ عليها.. لكن عموما لا يمكن لنا أن نرتاح مادامت الأرض تعج بالمجرمين والخونة.
- أكيد، لكن لا أعرف لم يخيفني هدوءك هذا بعد كل ما حدث، سلمى لقد انقلبت حياك رأسا على عقب، كل شيء كنت تعرفينه لم يكن حقيقيا، لكنك تتصفين بهدوء تام.
- آآه صديقتي، ماذا تريدينني أن أقول؟ كلامك على صواب لكن أحس أمام كل ما حدث أنني متعبة حقا، لم تعد لدي القدرة على التفكير أكثر بالموضوع، ولا أريد أن أناقش أيا مما حدث، اكتفيت.
- وماذا إذن؟

- لا شيء فقط سأركز في عملي لينال كل مجرم العقاب الذي يستحق، وفي المقابل سأترك مساحة لتتداوى جروحي شيئا فشيئا.
- أيعني هذا أنك ستلتحقين بالمركز غدا؟
- نعم سآتي.
- جميل، أتقرئين لأكاثا كريستي مرة أخرى؟
- طبعا، لم أتمكن من معرفة القاتل إلى الآن.
- قد أساعدك، أتسمحين؟
- طبعا، هيا بنا.

ظلت نور رفقة سلمى تقرآن لأكاثا كريستي، تشاهدان التلفاز وتحضران الأكل اللذيذ تماما مثل الأيام الخوالي، ولأول مرة بعد مدة طويلة كانت سلمى تضحك وتستمتع بوقتها رفقة صديقتها، وما إن حل الصباح والتحقتا بالمركز حتى تفاجأتا بحضور كل العناصر ترحب بعودة سلمى سالمة بينهم، وعادل يحمل حلوى الكراميل اللذيذة التي كتب عليها بخط عريض "مرحبا بك سلمى مجددا، نحبك"، سعد الجميع بالمناسبة وجلسوا يتناولون الحلوى ويدردشون قبل أن يفاجئهم العميد كريم.

- يا شباب انتهى وقت الاحتفال لدينا اتصال.. قضية جديدة.
- أي قضية هذه؟ سألت نور
- الحقي بي رفقة عادل وسلمى إلى مكتبي.

غادر العميد كريم القاعة إلى مكتبه وتبعه عادل بينما توقفت نور عند الباب.

- سلمى، ألن تأتي معنا؟

توقفت سلمى للحظة تتأمل في الجميع وهم فرحين بعودتها يدردشون، وضعت شارتها وأخذت مسدسها، تأكدت من شحنه وثبتته خلف ظهرها ثم نظرت إلى نور مبتسمة ابتسامة ثقة بالنفس.

- هيا بنا، حان وقت العمل.

فاطمة الزهراء أبشي، كاتبة مغربية، من مواليد: 1993/01/05 بمدينة تازة، من منشوراتها إلكترونيا: «النضال الأخير» ديوان شعر، «حتى إشعار آخر Covid-19» مذكرات، إلى جانب عدة مقالات من بينها: «المرأة في حضن الأدب» أجيال بريس، «الفن الهادف بين المهرجانات وسلة المهملات» أجيال بريس، «التحليل النفسي والتناقض في القصة القصيرة جدا –استسلام» أجيال بريس، «قراءة تحليلية – أمهلني.. بعض العبث – بين سيغموند فرويد وجاك لاكان» أجيال بريس

كل شيء بدأ منذ عام، كانت الشرارة الأولى لكل هذا الحزن مجرد رسالة واحدة تحمل جملة واحدة "أتجيدين اللعب، لنلعب"، رسالة واحدة بنفس الختم أتى بها طفل صغير في السادسة من عمره، انتظر بباب المركز حتى رآها تخرج متجهة إلى سيارتها رفقة نور، انطلق إليها الصغير مسرعا غير مدرك لما ينتظره، ينادي بصوت عال "سلمى، سلمى"، أمسكت به وهو يلهث، أخذت الرسالة لتقرأها ثم عادت تسأله عمن أعطاه إياها، "إنه رجل.." هذا كل ما باح به الصغير قبل أن تنطلق رصاصة من بندقية قناص وترديه قتيلا بين يديها